مبـــاحـــث

فـــى

الخطابة وأهميتها
في
الدعوة إلى الله تعالى

تأليف

الدكتور

سعيد محمد إسماعيل الصاوى

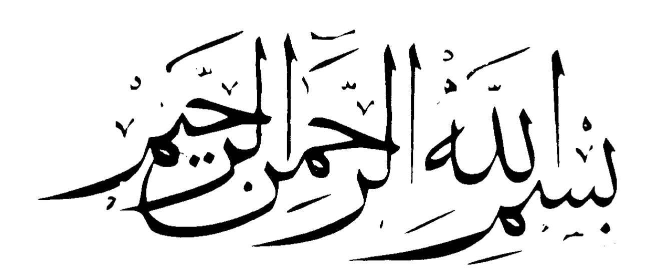
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ١٩٩٧م




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الله عز وجل خلق الإنسان فى أحسن تقويم . وأبهى صورة فقال تعالى :-

- لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم (١)

يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلـك فـى أى صورة ما شاء ركبك (٢)

وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٣)

وكرمه وفضله على كثير من المخلوقات بأمور لاتحصى ولاتعد. فقال تعالى - وإن تعدو نعمة الله لاتحصوها (٤) ولقد كرمنا بنـى أدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (٥)

-ومن تكريم الله تعالى للإنسان :-

أن جعله يبين عما فى نفسه ويفصح عما بداخله :-

من آمال يريد تحقيقها لتسعده فى عاجله وآجله .

---

(١) سورة التين آية ٤

(٢) سورة الانفطار آية ٦ : ٨

(٣) سورة التغابن آية ٣

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٤

(٥) سورة الإسراء آية ٧٠

ومن آلام يريد التخلص منها ليعيش آمناً فى سربه حاضراً ومستقبلاً.
- وهذا التفضيل الإلهى للإنسان . قديم قدم الإنسان نفسه. لأنه وجد مع الإنسان منذ خلقه الله تعالى .
فقال تعالى :-
-الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان - (١)
وإذا كان هذا هو تفضيل الله تعالى للإنسان عامةً فإن هناك تفضيلاً إلهياً خاصاً بالإنسان المسلم وهو:
أن جعله الله تعالى مُبَيِّناً للناس - من قِبَلِهِ تعالى- طريق الخير والشر. والهدى والضلالة. والمعروف والمنكر.
فقال تعالى ._ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. (٢) ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين(٣)
وهذه الدعوة إلى الله تعالى - ممثلة فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر- لاتتحقق إلا بالكلام البين الفصيح وهو من أعظم نِعَمِ اللهِ تعالى على الإنسان.
ومن الأمور الواضحة التى لايختلف عليها اثنان: أنه لاتتحقق دعوة- أى دعوة خيرة أو شريرة - بدون دعاية .
والخطابة من أهم أدوات الدعاية التى لايمكن أن يستغنى عنها الإنسان فى شأن من شؤن حياته سلماً أو حرباً. لما لها من تأثير

---

(١) سورة الرحمن آية ١-٤
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤
(٣) سورة فصلت آية : ٣٣

قوى فى النفس البشرية : إذا توفر فيها عنصرى : الإقناع العقلى المنطقى والاستمالة العاطفية الوجدانية .

- وإذا قامت على قواعد علمية سليمة . وذوق فنى رفيع. لأنها تجمع بين العلم والذوق أو الفن :-

أ- العلم الوثيق الصلة بكثير من العلوم اللسانية كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها وذلك :-

١) لأن الخطابة وهذه العلوم كلها تقوم على اللغة الدقيقة الواضحة دون تبذل.

٢) ولأنها كلها تخاطب العقل والعاطفة بالفكرة الواضحة والأسلوب البليغ المؤثر.

ب- والعلم الوثيق الصلة بكثير من العلوم العقلية والإنسانية كالمنطق وعلم النفس والاجتماع والتاريخ والتفسير والحديث والفقه وغيرها.

وهذه العلوم كلها تمثل روافد يستمد منها الخطيب منطقه وفكره كما أنها كلها تمثل دعائم ترتكز عليها الخطابة .

وإذا كان هذا كله يمثل جانب العلم فى الخطابة فإن جانب الفن فيها يقوم على القدرة على الأداء عن طريق الوسائل التى يستعملها الخطيب للتعبير عما يحسه بداخله من أفكار وأحاسيس لإقناع العقول وإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال الحسى والمعنوى .

ويبرز الجانب الفنى فى الخطابة أكثر من غيرها من العلوم والفنون الأخرى . وذلك لأن الخطيب يقصد بخطابته أن يؤثر فى المستمع عن طريق السمع بتلوين صوته . وحسن إلقاءه وتعبيره .

وعن طريق البصر بحسن الهيئة والإشارة المنضبطة .

إذن فالخطابة علم وفن يستطيع الخطيب بهما إقناع الغير والتأثير فيه
ولا نبالغ إذا قلنا : إن الخطابة تعتمد على الفن والذوق الجمالى قبل اعتمادها على القواعد والقوانين العلمية.
وذلك : لأن القواعد والقوانين العلمية ما هى إلا المادة التى يظهر فيها الأثر الفنى والذوق الجمالى .

وهـذا كتاب

مباحث فى الخطابة وأهميتها فى الدعوة

بينت فيه : مفهوم الخطابة ومايجب أن تكون عليه الخطابة من قواعد علمية وفنية . وطريقة الإلقاء وأثرها فى المستمع - إقناعاً واستمالة - كما بينت : أهمية الخطابة للمجتمع البشرى قديما وحديثا . وأهميتها للدعوة الإسلامية .وما للخطابة من أركان أساسية. وأهمية كل ركن وما يجب أن يتوفر فيه . ليحقق الغرض المنشود من الخطابة إقناعا واستمالة . ثم تحدثت عن أهم أنواع الخطابة . وخاصة: الخطابة الدينية لشمولها كل مجالات الحياة التى يعيشها الإنسان

وفى مقدمة الخطابة الدينية : خطبة الجمعة من حيث : منزلتها وأركانها وأهميتها وما ينبغى أن تكون عليه .
وقد اثرت فى كتابى هذا : أسلوب الوضوح والسهولة بعيدا عن الغموض والتعقيد ليكون فى متناول كل من يكون عنده استعداد للخطابة ويريد تنمية موهبته .

كما اثرت : ايراد كثير من النصوص القرانية الكريمة . والنبوية الشريفة . وأقوال الحكماء والبلغاء من خطباء الماضى والحاضر مع

الشرح والتعليق عليها - قدر المستطاع- لأن البحوث التى لا تعتمد على النصوص وخبرات السابقين . ضعيفة التأثير والمفعول. قليلة الجدوى. سريعة الزوال من العقول والقلوب .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وان ينفع به كل المسلمين. إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور/ سعيد محمد اسماعيل الصاوى

المبحث الأول

مفهوم الخطابة

يجب على الباحث فى أى موضوع أن يعرّفه من حيث اللغة والاصطلاح . تعريفاً جامعاً لكل أطراف الموضوع. مانعاً من دخول غيره فيه .

والخطابة موضوع من موضوعات البحث يسرى عليه مايسرى على غيره من الموضوعات .

مفهوم الخطابة فى اللغة .-

الخطابة مصدر الثلاثى - خَطَبَ. يَخْطُبُ . خَطَابَةً - وهى لون من ألوان النثر الفنى . مشتق من - الخَطْبِ - وهو الأمر الجليل العظيم. وذلك: لأن الخطابة تلقى فى الأمور التى يجل قدرها ويعظم خطرها إيجاباً أو سلباً فى كل أحوال الإنسان فرداً أو مجتمعاً.

جاء فى مختار الصحاح :-

الخَطْبُ: سبب الأمر تقول ماخَطْبكَ ؟.أى ما أمرك

وتقول هذا خَطْبٌ جليل وخطب يسير . جمعه خُطُوب- [١]

وفى أساس البلاغة:-

خاطبه أحسن الخطاب : وهو المواجهة بالكلام .

وَخَطَبَ الخطيب خُطْبَةً حسنة . واختطب القوم فلاناً. دعوه إلى أن يخطب إليهم. يقال: اختطبوه فما خطب إليهم[٢]

وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً . وَخَطَبَ على المنبر خُطْبَةً بضم الخاء - وَخَطَابَةً.

---

(١) مختار الصحاح صـ١٨٠

(٢) أساس البلاغة صـ١١٤

خَطُبَ من باب ظَرُفَ صار خطيباً[١]

أما الخطبة بكسر الخاء فهى مصدر خطب يخطب أيضا .

والمراد بها مقدمة الزاج . وتقول :-

خطب الخاطب خِطْبة جميلة. وكثر خُطّابُها. وهذه خِطْبة وخطبته

وكان الرجل يقوم فى النادى فى الجاهلية. فيقول :-

خِطْبٌ فمن أراد إنكاحه قال نِكْحٌ[٢]

وقد جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :- "ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خِطْبَةِ النساء"[٣]

كما جاء فى السنة الشريفة:- نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخطب الرجل على خِطْبَةِ أخيه-[٤]

وعلى هذا يتبين أن الثلاثى :- خَطَبَ - يأتى منه المصدر :-

أ- خُطْبَةٌ- بضم الخاء- وهى تعنى : توجيه الكلام من شخص لأخرين بطريقة معينة . على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى خلال هذا البحث .

ب:- خِطْبَةٌ-بكسر الخاء- وهى تعنى مقدمة الزواج.

مفهوم الخطابة فى الإصطلاح :-

عرفت الخطابة بتعاريف كثيرة. ولكن :-

١- منها ماليس جامعاً لكل أنواع الخطابة .

---

(١) مختار الصحاح صـ١٨٠

(٢) أساس البلاغة صـ١١٤

(٣) سورة البقرة من الآية٢٣٥

(٤) صحيح مسلم كتاب النكاح باب تحريم الخطبة

٢- ومنها ما ليس مانعا من دخول غير الخطابة معها. مثل الدروس والوصايا.

وأوضح ماتعرف به الخطابة - من وجهة النظر الخاصة - أنها:-
فن مشافهة الجمهور . فى أى أمر من الأمور بطريقة إلقائية. لإقناعهم بهذا الأمر . واستمالتهم نحوه.

شرح التعريف :-

أ- الفن : هو واحد الفنون وهى الأنواع والأفانين والأساليب .
وهى أجناس الكلام وطرقه . ورجل متفنن أى ذو فنون وافتن الرجل فى حديثه وفى خطبته - بوزن اشتق- : جاء بالأفانين(١)
وفى أساس البلاغة :- فَنَّنَ: أخذ فى أفانين الكلام . وافتن فى الحديث . وتفنن فيه ....
وَفَنَّنَ فلان رأيه : لَوَّنَهُ ولم يستقم على واحد (٢)
فالفن هو جملة الوسائل التى يستعملها الإنسان للتعبير عما يحسه بداخله من أفكار وأحاسيس لإقناع العقول. وإثارة المشاعر والعواطف وخاصة : عاطفة الجمال الحسى والمعنوى.
والتعبير الفنى كثير التنقل بين الغموض والوضوح.والتوحد بين باعث جلى. وبواعث أخرى بعيدة الغور فى النفس.
ولكنه فى تلك الأحوال جميعا. ليس سوى تمثيل خارجى مادى للظلال والتجارب المعنوية التى يعانيها الإنسان فيما يحاول أن يحقق ذاته (٣)لإقناع الغير واستمالته نحو هدف معين.

---

(١) مختار الصحاح صـ٥١٣

(٢) أساس البلاغة صـ٣٤٨

(٣) الخطابة لأرسطو صـ٢٣ ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى جـ١ دار الرشيد للنشر

والفن بهذا المعنى : موهبة يصقلها المران والتدريب. وكذلك الخطابة موهبة يصقلها المران والتدريب.

يقول أرسطو: بعض الناس يمارس الخطابة حيثما أتفق-أى فطرة وسليقة- وبعضهم بممارسة ناشئة عن العادة-أى يمارسها بالدربة التى اكتسبها من مقتضيات الحياة-ولما كان كلا الطريقيْن ممكن. فإن من الممكن معالجة الموضوع على نحو منسق. إذ من الممكن الفحص عن السبب الذى من أجله يبلغ البعض غرضهم بالممارسة. والبعض الأخر بالاتفاق.وسيجمع الكل على أن مثل هذا هو مهمة الفن.لأن مهمة الفن أو وظيفته:هى الكشف عن منهج أو نظام منسق(١).

ويغلب فى الخطابة طابع الفن أكثر من غيرها كالشعر والتمثيل. وذلك لأن الإنسان الخطيب يقصد بالخطابة أن يؤثر فى المستمع عن طريق السمع والبصر معا.

فما يدخل أثره عن طريق السمع هو الأسلوب والإلقاء والصوت. وما يدخل أثره عن طريق البصر هو الهيئة والحركة والملامح وتلك المؤثرات هىقوام هذا الفن-الخطابة -وملاكه (٢).

الفرق بين الفن والعلم

حينما عرفنا الخطابة قلنا:- إنها فن مشافهة الجمهور ....

ولم نقل هىعلم مشافهة الجمهور ....

---

(١) الخطابة لأرسطو د/ عبد الرحمن بدوى ط دار الرشيد للنشر بالعراق بغداد ١٩٨٠

(٢) الخطابة فى الإسلام واعداد الخطيب الداعية د/مصلح سيد بيومى صـ١١

وذلك لأن الخطابة تعتمد على الذوق والجمال . قبل اعتمادها على القواعد والقوانين

وما القواعد والقوانين إلا المادة التى يظهر فيها الأثر الفنى.

ومثلها كمثل الجسم الإنسانى من حيث هو المجال الذى يظهر فيه أثر النفس أو الروح, ولن تغنى ضخامة الجسم وقوته عن تفاهة النفس وضعفها شيئا .

وكذلك لن يغنى العلم شيئا إذا ضعفت أو انعدمت الفطرة الفنية التى لايمكن أن تكتسب اكتسابا وإنما يخلقها الله عزوجل مع نفس الإنسان.

غير أنى أقول :- إن الدراسات العلمية الخاصة بالفنون تصقل الفطرة الفنية وتنميها بل وتستنبطها وتستخرجها إذا كانت كامنة. فى نفس الفنان او الخطيب.

ب- **المشافهة** :-

المشافهة هى توجيه الكلام المباشر بصوت مسموع مفهوم من إنسان لغيره بقصد إقناعه, أو استمالته, أو هما معا, بأى أمر من أمور الحياة.
وفى أساس البلاغة :- شَافَهْتُ البلد والأمر: إذا ناديته. وما التقت الشفاه على كلام أحسن منه (١)

وفى مختار الصحاح :-

المشافهة: المخاطبة من فيك إلى فيه (٢)

فالخطابة لابد وأن تكون مخاطبة أو مشافهة بطريقة مباشرة من الخطيب للمستمع .

---

(١) أساس البلاغة صـ٢٣٨

(٢) مختار الصحاح صـ٣٤٢ وصوابه من فيك إلى سمعه

وبهذا تخرج الكتابة سواء أكانت نثرا أم شعرا. وذلك:-
-لأن الكتابة تدوين للافكار والخواطر على السطور.
أما الخطابة تبليغ مباشر للأفكار والخواطر على العقول والصدور .
- كما أن الكتابة معها فرصة للكاتب أن يغير من أفكاره وخواطره بالزيادة أوالنقصان أو بالتغير والتبديل .
اما الخطابة ليس معها فرصة للخطيب أن يغير من أفكاره وخواطره بصورة فورية.وإلا كان الخطيب متضاربا فى أفكاره ومعلوماته مما يترتب عليه،ضعف شخصية الخطيب.واهتزاز صورته.أمام جمهوره.
لذا : فالمشافهة المباشرة ضرورية فى الخطابة لتميزها عن الكتابة.
وقد يحسن الخطيب الخطابة.ولكن لايحسن الكتابة.بل كثير من الخطب إذا قرئت لم تكن لها تلك الروعة. ولا ذلك الأثر،الذى كان فى السامعين أثناء سمعهم للخطبة.لأن الخطيب لايؤثر بكلامه فقط، بل بالكلام مع الملامح والحركات الضرورية لجذب انتباه السامع .

ج- **الجمهور:-**

الجمهور هو الجمع الغفيرمن الناس،وهذا هو قول جمهور العلماء.
تقول: شهد ذلك الأمر الجمهور : أى الجماعات الكثيرة. وَجَمْهَرَ الأشياء: جمعها . قال ذو الرمة :-

أبى عز قومى أن تخاف ظعائنى:
صباحا وأضعاف العديد المجمهر[1]

وفى حديث موسى بن طلحة:- جَمْهِرُوا قبره جَمْهَرَةً أى: أجمعوا عليه التراب. ولا تطينوه.

---

(١) أساس البلاغة صـ٦٥

وجمهور الناس : جلهم[١]

إذا فالخطابة توجيه الكلام المباشر بصوت مسموع مفهوم.

إلى جمهور غفير من الناس متعدد المستويات, ومتنوع الثقافات .

يتواجد بينهم الخطيب ويتفاعل معهم ماديا ومعنويا.

فالخطيب يرى الجمهور . كما يراه الجمهور . ويوجه إليهم الحديث توجيها مباشرا لامن وراء حجاب حتى يذوب شعوره انفعالا بما يقول على حد قول عامر بن عبد قيس[٢] الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الاذان[٣]

وبهذا الجمهور فى الخطابة : يخرج الحديث أو الدرس أو الوصية. لأن مثل هذه الأمور عادة لاتلقى أمام جمهور . وإنما تكون لشخص أو اثنين ,أو عدد قليل من المستمعين .لايمثل جمهورا فى العادة. .وبالتالى . فهذه الأمور لاتحتاج إلى الأسلوب الخطابى المشتمل على القواعد المنهجية لإقناع المستمع واستمالته فيكفى المتحدث بها : أن يشرح فكرته بأسلوب هادىء وبطريقة مألوفة فى الأحاديث العادية.

د- **فى أى أمر من الأمور :-**

مادام الخطيب يتحدث إلى جمهور متعدد الثقافات والمستويات.فإن ذلك يتطلب أن يكون الحديث فى أمر من الأمور التى تهم الجمهور المتحدث إليه.

---

(١) مختار الصحاح صـ١١٢

(٢) هو عامربن عبد قيس بن ثابت التميمى. ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعى ثقة من كبار التابعين وعبادهم وكان غاية فى الزهد- الجاحظ جـ١ صـ٨٣

(٣) البيان والتبين جـ١ صـ٨٣

سواء أكانت الأهمية منصرفة إلى الجانب السياسى.فتكون الخطبة السياسية.

أم كانت الأهمية منصرفة إلى الجانب الاجتماعى. فتكون الخطبة المحفلية.

أم كانت الأهمية منصرفة إلى الجانب القضائى,فتكون الخطبة القضائية ... وهكذا.

وهكذا يختلف الأمر الذى يتحدث فيه الخطيب باختلاف حال الجمهور . مما يتفق ومصلحة الإنسان فى مجتمعه. وموقف المجتمع منه.

وبهذا يتبين أن الخطابة لاتختص بموضوع دون غيره. بل تتناول كل شيء فى حياة الإنسان أفرادا ومجتمعين. حتى قال أرسطو :

أن الخطابة ليس لها موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره. إذ أنها تتناول كل العلوم والفنون. ولاشيء حقيرا كان أم جليلا. معقولا كان أو محسوسا إلا يدخل تحت حكمها. ويخضع لسلطانها. وَمِنْ ثَمَّ قال الباحثون فى شأنها:-

يلزم أن يكون الخطيب ملما بكل العلوم والفنون ما استطاع. وأن ويسعى دائما إلى أن يزداد كل يوم علما [1]

وبهذا يخرج من تعريف الخطابة. غيرها من الفنون والعلوم .

كفن الخط الذى ينظر فى رسم الحروف، وهيئتها.

وفن الطب الذى ينظر فى أحوال، جسم الإنسان والحيوان من جهة الصحة والمرض.

---

(١) الخطابة لأرسطو صـ٢٨-٢٩ ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى وراجع فن الخطابة الشيخ على محفوظ صـ١٣

هـ:- بطريقة إلقائية:-

أعنى بها:-

١- حسن اختيار الكلمات. وجميل العبارات.

٢- القدرة على إجادة فنى الوصل والفصل فى الكلام.

٣- جمال الصوت. بجهارته وتكييفه. حسب المكان. والزمان. والموضوع. وكلماته ونبراته التى تتسم بالفرح والسرور. أو الأسى والحزن. أو التهكم والسخرية. أو بالتعجب والاندهاش.

٤- حسن الإشارة باليد وغيرها من الجوارح. وقسمات الوجه التى تجسد معانى كلمات الخطبة.

مما يؤدى إلى إثارة المستمع. وتوجيه عواطفه نحو الخطيب وخطبته.

٥- الدقة فى اختيار الموضوع الذى يشداهتمام الناس. ويشغل الرأى العام.

٦- حسن سمت الخطيب. وجمال هندامه.

وبالطريقة الإلقائية على هذا النحو للخطبة. تخرج القصة والروايات التاريخية.

لأن الخطيب ليس كالقصاص الذى يسرد أحداث القصة سردا مجردا من الدليل المقنع.

وليس كالمؤرخ الذى يروى أحداث التاريخ بطريقة رتيبة.

ولكن الخطيب:- يعبر عن معانيه بما يناسبها من الأداء الصوتى علوا وانخفاضا. رقة وقوة.

وبذلك يشترك الأداء المعبر مع اللفظ في إحداث التأثير لدى المستمعين. [١]

و: بقصد إقناعهم:-

الإقناع هومخاطبة العقل أو الفكر بالأدلة المنطقية. أو هو:-
حمل السامع على التسليم بصحة المقول. وصواب الفعل أو الترك الذيْن يتوجه إليهما المقول.
وهو نوعان: برهاني وخطابي.
وغاية الأول: إذعان العقل على نتيجة مبنية على مقدمات ثبتت له صحتها. كقولنا. الأربعة زوج.لأنه منقسم بمتساويين.
وقولنا: العالم حادث لأنه متغير.
وغاية الثاني: إذعان العقل بصحة المقول. وصواب الفعل أو الترك بأقيسة مؤلفة من أقوال منظومة. أخذ فيها بالمحتمل الراجح.أومقبوله صدرت ممن يعتقد صدقه وسداد رأيه. [٢]
ولابد في الخطابة من عنصر الإقناع العقلي. وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين. ويؤيده بالأدلة والبراهين التي تثبت صحته. ليعتقدوه كما اعتقده. ويؤيدوه وينصروه.
وإذا خلت الخطابة من الأدلة والبراهين فإنها لاتزيد عن أن تكون إبداء رأي. وهي تكون فاشلة.لأنها لاتؤدي الغرض الذي قيلت من أجله.

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة صـ١١
(٢) فن الخطابة الشيخ علي محفوظ صـ١٣

والخطيب الناجح يشرح الأدلة التي يسوقها شرحا وافيا. يكثر فيه المترادفات. ويعيد بعض الجمل. ويلح على تركيز معان خاصة. وجزئيات وأمثلة توضح الفكرة وتثبتها في أذهان سامعيه [١]. ولكي يصل الخطيب إلى درجة إقناع المستمعين. لابد أن يكون مؤمنا بقوله. متأكدا من صحة أخباره. وحسن اختياره للموضوع. لأن الخطيب إذا امن بما يقول واقتنع به كان في مأمن من نفور الناس عنه. وانفضاضهم من حوله. فهو يستطيع الوقوف منهم موقف المعلم النابه. الذي يقرع الحجة بالحجة. ويسوق الأدلة والبراهين في شرحه وتوضيحه. حتى يصل بجمهوره إلى مرتبة الإفهام المرغوبة[٢] ومن المعلوم أن التأثير لايأتي إلابعد التأثر. ولايأتي الإقناع إلابعد الاقتناع.

ز :- الاستمالة:-

يراد بالاستمالة: مخاطبة العواطف والأحاسيس والمشاعر بالأدلة الوجدانية. بمعنى أن يثير الخطيب نفوس سامعيه ويجذب انتباههم. ويقبض على زمام عواطفهم. ويتصرف بها كيف يشاء. سارا او محزنا. مضحكا أو مبكيا. داعيا إلى الثورة أو السكينة. [٣]

وكل ذلك لايكون إلابمعرفة الأهواء. وطرق تهييجها أو تسكينها. ولما كان الإنسان مركبا من روح وجسم. لم يكف الخطيب أن يوجه كلامه إلى القوى العقلية فقط. دل عليه أيضا أن يثير من السامع

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب صـ١١

(٢) فن الخطابة: د/ عبد الرحيم زلط صـ٨

(٣) فن الخطابة للحوفي صـ٥

عواطفه وميوله التى تدفع الإنسان إلى طلب ما يرغبه.أو النفور والإعراض عما يرهبه.والميول الغريزية. هى المسماة بالأهواء.

وأهواء النفس البشرية الشهوية هى:-

المحبة والبغض. والرغبة والنفور. والفرح والحزن .....

وأهواء النفس الغضبية هى:- الرجاء والقنوط. والشجاعة والخوف. والحلم والغضب. (١)

ومعرفة هذه الأشياء وأمثالها. تمكن الخطيب من الاستمالة القائمة على صدق الحديث. والرغبة فى الانتفاع. مستخدماً عنصر التشويق وجذب أفئدة الناس. وحصر تفكيرهم فى بوتقة واحدة تتفق والمعاير الكلامية التى تدور فى ذهنه. وما خططه للحديث من أساليب لغوية. لذا ينصح علماء النفس ومعلمى فن الخطابة: بمعرفة كل الأشياء التى تمكن الخطيب من القدرة على استمالة مستمعيه. فيقول ديل كارينجى:- لا تصنع شيئا يثقل نشاطك لأن المميزات الأولى التى أبحث عنها دائما عند المتحدثين ومعلمى الخطابة هى: المغناطيسية والحيوية والنشاط والحماسة. لأن الناس يتجمعون عادة حول المتحدث النشيط.

شاهدت ذلك مراراً يحدث للخطباء فى هابدى بارك بلندن. وهى بقعة قرب مدخل ماريل أرك. حيث يلتقى بعد ظهر يوم الأحد الخطباء من مختلف الأجناس والمذاهب والألوان. ويستطيع المرء أن يختار ويستمع إلى من يشاء. فمن تحليل كاثوليكى يشرح مبدأ عصمة البابا من الخطأ وعدم إمكانية التخلى عن البابا. وإلى اشتراكى يشيد

---

(١) فن الخطابة: الشيخ على محفوظ صـ٤٥

بنظرية كارل ماركس الاقتصادية.وإلى هندى يشرح:لماذا للمسلم أن يتزوج أكثر من امرأة ... وهكذا...

يتجمع مئات من الناس المستمعين حول خطيب ما.بينما جاره ليس حوله سوى نفر لا يتعدى أصابع اليد. لماذا ؟ !!

هل الموضوع هو الذى يفرق بين مختلف الخطباء؟! كلا!!!

ففى معظم الأحيان نجد أن السبب يكمن فى الخطيب نفسه.فهو أكثر تحمسا.وأكثر إثارة للحماس.ويتحدث بحيوية ويشيع حيوية وألفة.مما يجذب الاهتمام. (١)

إذا: فعنصر الاستمالة عنصر رئيسىفى مضمون الخطبة. وهو الذى يمكن أن يرتكز عليه الخطيب فى عملية الإقناع والإثارة. حتى إذا أنس الناس إلى الخطيب. وأصبحوا مشدودين إليه. وفهموا حديثه عن وعى ودراية.

سهل عليه الوصول بهم إلى مرتبة الإقناع!!. (٢)

الإلقاء وأثره فى الاستمالة

إن كيفية إلقاء الخطبة لها أكبر الأثر فى استمالة السامعين وانفعالهم بما يقوله الخطيب فى خطبته.وذلك لأن:-

- بعض الخطباء يكون فاتر الإلقاء ضعيف التأثير.فتضيع أدلته الكثيرة هباء .

- ومنهم من يأتى بأدلة أقل أو أضعف.ولكنه يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم فيتحمسون لتنفيذ فكرته. ويحول كل واحد منهم أن يعمل على تحقيق شيىء منها بقدر طاقته.

---

(١)التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارينجى صـ١٠٧

(٢) فن الخطابة: د/ عبد الرحيم زلط صـ٨

مثال لأثر الاستمالة فى نفوس الجمهور

من الأمثلة التى تؤكد أهمية الاستمالة فى نجاح الخطبة والخطيب:
أحد الخطباء يدعو جمهوره لإنشاء مشروع خيرى ينتفع به الأفراد والجماعات.كمسجد أو معهد أو مدرسة أو مستشفى- ثم يسوق من الأدلة والبراهين مايؤكد أهمية المشروع وضرورة إنشائه وحاجة المجتمع إليه ومايعود على أبناء المجتمع كله من فوائد.
حتى يقتنع الجميع بوجهة نظر الخطيب ويشكرونه على جهده وحسن القائه.
ثم لايعملون أى شيء لإنشاء المشروع ولايخْطُونَ أى خطوة قلّت أو كثرت فى سبيله.
وتكون النتيجة: موت الفكرة فى مهدها مع اقتناع الجمهور كله بفوائدها وأهميتها لصالح المجتمع كله.
وذلك: لفقد عنصر الاستمالة. وإن توفر عنصر الإقناع.
وربما يتحدث خطيب آخر فى نفس الموضوع أو المشروع.
فإذا الناس مندفعون لتحقيق دعوته.
هذا يكتب طلبا للجهات المعنية لبناء المشروع.
وهذا يبحث عن أرض صالحة له.
وهذا يبدأ قائمة التبرعات لتمويله. وهكذا....
إذا: فقد نجحت الخطبة وأتت ثمرتها,ولايرجع نجاحها إلى الإقناع بل إلى الاستمالة. (١)
وهذا يدل على أن مرمى الإقناع الخطابى ليس هو الإلزام والإفحام فقط،بل مرماه حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة عاطفته

---

(١) الخطابة واعداد الخطيب صـ١٢

وجعله يتعصب للفكرة التى يدعو إليها الخطيب ويتقدم لفدائها بالنفس والنفيس عند الاقتضاء.

ولايكون ذلك بالدلائل المنطقية،تساق جافة،ولابالبراهين العقلية. تقدم عارية،بل بذلك،وبإثارة العاطفة،ومخاطبة الوجدان.

وإن الخطيب قد يستغنى عن الدلائل العقلية،ولايمكنه فى أية حال الاستغناء عن المثيرات العاطفية.

بل إن أكثر مايعتمد عليه الخطيب فى حمل السامعين على المراد منهم

مخاطبة وجدانهم والتأثير فى عواطفهم.

لذا يقول الشيخ محمد أبو زهرة:- مع قلة اطلاعنا على سنن المنطق العاطفى: فإن الاستقراء يدلنا على بضع قواعد يستعملها أعاظم الخطباء فى أغلب الأوقات،إذ أنهم بدل من أن يقضوا أوقاتهم فى تنظيم الأدلة وتنميق البراهين- التى إن أقنعت لاتؤثر فى السامعين-- يحركون بالتدريج ساكن هؤلاء السامعين بضروب المؤثرات التى يتفننون فى تنويعها لعلمهم أن ما يوجده أحد المحرضات من تأثير لايلبث أن يهن وينفد.

وهم باستدراج لبق. وكلمات ساحرة وصوت عذب يُكَوِّنُون جواً عاطفياً ملائماً لقبول استنباطهم.

ونرى من هذا:- أن الخطيب للذى يخاطب الجماهير لايعول فى خطبه على المنطق بمقدار مايعول على خلق جو عاطفى مهيأ لقبول مايقدم له من آراء.

وإن أكثر علماء الاجتماع يذهبون إلى أن الجماعة تقبل الدلائل العاطفية الوجدانية ولاتملها. ولاتقبل البراهين العقلية بل تسأمها. إذ

أن الذى يظلل الجماعة المتحدة المشاعر والأهواء:- العاطفة لاالعقل.
ولو كان احادها من ذوى الفكر الصائب والعقل الناضج.
فإن هؤلاء إذا انضووا تحت لواء الجماعة: غلب عليهم روحها العام وسرت إليهم عاطفتها واستولت عليهم مشاعرها.
ولقد قال بعض الباحثين فى أحوال الجماعات:-
إن الخطيب إذا خاطب العاطفة أرضى ثمانين فى المائة من السامعين وأثار اهتمامهم.[١]
وقال غوستاف لوبون[٢] فى كتابه روح الاجتماع:-
إن البراهين والأدلة لاتأخذ من نفوس الجماعات.
ولهذا كان الخطباء الذين يعرفون كيف تتأثر الجماعات يخاطبون شعورها أكثر من عقلها. لأنه لاسلطان لقواعد المنطق عليها. فلأجل إقناع الجماعة: ينبغى الوقوف أولا على المشاعر القائمة بها. والتظاهر بموافقتها فيها. ثم يحاول الخطيب تعديلها بموازنات صغيرة عادية تشخص أمامها صورا مؤثرة.
وينبغى أن يكون قادرا على الرجوع القهقرى متى وجد المقتضى. وأن يتفرس فى كل لحظة أثر كلامه فى نفوس السامعين.حتى يغير منه كلما مست الحاجة. وهذه الضرورة التى تلجىء الخطيب إلى سرعة تغير الكلام بحسب الأثر الحاصل فى نفس السامع.
هى التى تدلنا على ضعف الخطابة بالكلام المحضر من قبل. لأن الخطيب يتبع هذه الحالة سلسلة أفكار. لاحركة فكر سامعيه.فلا يكون

---

(١) الخطابة: الشيخ محمد أبو زهرة صـ٦٦
(٢) هو مستشرق فرنسى مشهور بإنصافه للإسلام والمسلمين

لكلامه أقل تأثير فيهم. [١]

أما المناطقة فلأنهم تعودوا الاقتناع بالأدلة المسلمة الدامغة لا يمكنهم الخروج عن عاداتهم هذه إذا خاطبوا الجماعات.

لذلك: يدهشهم على الدوام عدم تأثير استدلالهم. [٢]

من هذا السياق:

تعرف مقدار العاطفة في التأثير الخطابي،وأنها قطب الرحى في الإقناع الذي يصبوا إليه الخطيب ويجعله هدفه الذي يصوب إليه سهامه.

وإذا كان ذلك كذالك:-

كان من الواجب أن يجعل الخطيب الركن الركين في خطبته:-

العمل على إثارة الأهواء والميول- العاطفة-

إلى جانب الإقناع.

لأن جودة الخطابة تعتمد على شيئين أساسيين- كما- بينا- هما:-

أولا:- القدرة على إقناع السامعين بالرأى الذي يدعو إليه الخطيب بما يبدى من حجج وبراهين.

ثانيا:- استمالة السامعين ليعملوا على حسب ما يدعو إليه.

فلا بد للخطيب من العنصرين معا: الإقناع والاستمالة.

---

(١) بهذا يتضح أن جوستاف لوبون من أنصار الارتجال في الخطابة لا التحضير والإعداد،وله رأيه ووجة نظره الخاصة به كباحث اجتماعي،لكننا نرى أن التحضير والإعداد للخطبة مهم جداً في نجاح الخطبة والخطيب،وفي كيفية الوصول بهما لقلب وعقل المستمع،راجع كتابنا الخطيب وعوامل نجاحه في هذا الموضوع.

(٢) الخطابة: الشيخ محمد أبو زهرة صـ٦٦

والخطيب الماهر هو من يستطيع أن يلعب بهذين العنصرين لعبا فنيا. فهو يتخذ الوسائل المختلفة لإقناع السامعين ويبين لهم – فى وضوح- أراءه ويجعلهم يعتقدون أنها الحق. ثم هو يحرك عواطفهم ويلعب بها ويصرفها كيف يشاء.فيوجه الجمهور نحوه كما يحب ويريد .

ولذا:- لما اجتمع العنصران- الإقناع والاستمالة: سمى خطيبا وسمى ما أتى من فنون القول: خُطْبَة.

قصور بعض تعاريف الخطابة عن معناها الحقيقى:-

بعد ما بينا- بتوفيق من الله تعالى- التعريف الأقرب إلى الصحة والصواب لمفهوم الخطابة.وهو فن مشافهة الجمهور فى أمر من الأمور بطريقة إلقائية بقصد إقناعهم بهذا الأمر واستمالتهم نحوه يظهر لنا قصور بعض التعاريف مثل:-

أ- **التعريف القائل:**- إن الخطابة هى فن الكلام الجيد.وهذا التعريف قاصر.لأن الكلام الجيد يشمل:- الخطابة والكتابة- شعراً أو نثراً- فقد يحسن بالأديب أن يتحدث أو يقص أو يروى خبرا وأن يقول قصيدة ... إلخ ومع ذلك لايسمى خطيبا.

ب- **وكذلك التعريف القائل:** إن الخطابة هى القدرة على النظر فى كل مايوصل إلى الإقناع فى أى موضوع من المواضيع وتلك المهمة ليست من شأن أى فن آخر. [١]

لأن كثيراً من الكتب مقنع,وكثيراً من الكتاب مقنعون,ولأن الأساتذة فى شرحهم ومحاضرتهم مقنعون.

---

(١) الخطابة لأرسطو ،صـ٢١ ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى

فالمدرس الذى يشرح نظرية علمية كالجاذبية أو الضوء,ويقنع بها الطلبة,لايسمى خطيبا,وإن أجاد فن الكلام,لأنه لم يقم إلا بعنصر واحد من عنصرى الخطابة,هو الإقناع,ولم يقم بالعنصر الأخر. وهو: استمالة عواطف السامعين بمبادىء يدعو إليها.لأنه خاطب عقولهم لاعواطفهم,وشرح لهم النظرية,ولم يستمل عواطفهم إليها.فلا بد من توافر عنصر الاستمالة إلى جانب عنصر الإقناع فى الخطابة, بتوجيه عواطف الجمهور,لمضمون الخطبة واستجابته للرأى الذى تدعو إليه الخطبة.لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما,ولكن لايعنيه أن ينفذها,ولا يعنيه أن تحقق من غيره,فلا يسعى لتحقيقها. هذا العنصر من أهم عناصر الخطبة.لأنه هو الذى يحقق الغرض المطلوب منها. فالمدخنون واللصوص والوشاة والنمامون وفاقدوا الأمانة فى أعمالهم, وغيرهم من منحرفى السلوك,يدركون تماماً فساد أعمالهم,ولكنهم مع ذلك يمارسونها.

بل أكثر من ذلك- وهذا يرجع إلى أسباب نفسية- إن الشخص الكذاب قد يشرح أضرار الكذب وسوء نتيجته بأكثر مما يتحدث الواعظ أو المربى. وكذلك يتحدث اللصوص. عن أضرار السرقات. والمهملون عن أضرار الإهمال. والمدخنون عن أضرار التدخين....وهكذا.

وكل ذلك يوضح: أن الإقناع وحده لايكفى لنجاح الخطبة,بل لابد من جذب السامعين لإشباع الفكرة. واستمالة عواطفهم نحوها. حتى يتبع اقتناعهم بها: عمل بما اقتنعوا به. (١)

جـ وكذلك التعريف القائل:

---

(١) الخطابة: د/ عبد الجليل شلبى صـ١٢

إن الخطابة هى فن الاستمالة.

وهذا التعريف قاصر. لأن الاستمالة قد توجد لدى غير الخطيب.

- من إنسان يتعامل مع جمهور من الناس فى مساومة تجارية، أو استدرار عطف أو لفت نظر لشيء معين يخيل إلى من يستمع القول أنه أمر هام أو حدث جلل. والمتحدث المستميل هنا ليس بخطيب. وكذلك المنظر الجمالى الراقى: يستميل الذواقين للجمال وليس خطبة.

ولأن الممثل البارع يستميل مشاهديه بإشارته وحركته أو زيه أو وقفته دون أن ينطق. وليس بخطيب.

ولأن البائس العارى الجسد المهلهل الثياب المغضن الوجه المعروق الجسد يستميل المحسن لهذا المنظر. وما هو بخطيب. [١]

ولكن استمالة الخطيب:-

تنفرد بالمهارة الفنية التى تقوم على صدق الحديث، والرغبة فى انتفاع المستمع برأى الخطيب مستخدما عنصر التشويق وجلب أفئدة الجمهور. وحصر تفكير الجميع فى بوتقة واحدة، واتجاه واحد. يتفق والمعايير الكلامية. التى تدور فى ذهن الخطيب. وما خططه للحديث من أساليب لغوية. [٢]

لذا ينصح علماء النفس. الخطباء ومعلمى فن الخطابة بإتقان كل مايولد الحماس والطاقة والحيوية فى نفس الخطيب من الأدلة العقلية والعاطفية حتى يستطيع من خلالها إقناع الجمهور واستمالته.

---

(١) افن لخطابة: الحوفى صـ٦ .

(٢) فن الخطابة د/ عبد الرحيم زلط صـ٨

المبحث الثانى

الخطبة بين الإقناع والاستمالة

إن الخطبة الناجحة لابد أن تجمع بين الإقناع العقلى. وبين الاستمالة القلبية العاطفية.

وذلك لأن الخطيب يواجه بخطبته جمهورا متعدد الأفكار والثقافات. فلابد من إقناع هذا الجمهور واستمالته.

والإقناع هو:- مخاطبة الفكر والعقل بالأدلة العقلية والمنطقية. (١)
والاستمالة هى:- مخاطبة العواطف الأحاسيس والمشاعر بالأدلة الوجدانية. (٢)

ولكى يقنع الخطيب جمهوره ويستميله بالخطبة لابد من دراسة نفسيته وعقليته. ليسلك بهذا الجمهور السبل الموصلة إلى إقناعهم واستمالتهم.

وقد حدث هذا الأسلوب. فى أول خطبة خطبها النبى صلى الله عليه وسلم.

عن أنس رضى الله تعالى عنه قال:

أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ . صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

" يا أيها الناس: إن الله قد اختار لكم الإسلام ديناً. فأحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق. ألا إن السخاء شجرة من الجنة. وأغصانها فى الدنيا. فمن كان منكم سخياً لايزال متعلقاً بغصن منها حتى يورده الله الجنة.وإن اللؤم شجرة فى النار وأغصانها فى الدنيا.

---

(١) راجع صفحة ١٨ من هذا الكتاب

(٢) راجع صفحة ١٩ من هذا الكتاب

فمن كان منكم لئيما لايزال متعلقا بغصن من أغصانها حتى يورده الله النار . قال مرتين:

السخاء فى الله. السخاء فى الله. [١]

[تحليل النص الشريف]

هذا النص الشريف يوضح أن النبى صلى الله عليه وسلم. قد جمع بين أسلوبى الإقناع العقلى. والاستمالة القلبية.

وذلك: بمخاطبة العقل. ومخاطبة الوجدان.

أولاً:- مخاطبة العقل القاضى بأن الله إذا كان قد أكرمنا بهذا الدين الذى هو أَجَلُّ النعم الموجبة لشكر المنعم سبحانه وتعالى. فلابد أن يجىء الشكر جزاءً لهذه النعمة. على أن يأخذ الشكر شكله العملى على طريقين:-

أ- طريق السخاء المادى ببذل المال إعانة. للمحتاج فردا أو دولة، وصيانة لمرافق المجتمع.

ب- طريق السخاء المعنوى بحسن الخلق أو الود الجامع للقلوب. المؤدى إلى ترابط المجتمع.

ثانياً :- مخاطبة الوجدان عن طريق الترغيب والترهيب. حيث يبدو التكليف هنا صعبا. والعقل لاينهض به وحده. لذا يتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الترغيب و الترهيب. ليحرك المخاطب. ويأخذ خطوة عملية لشكر هذه النعمة..

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن أنس رضى الله تعالى عنه فى كنز العمال ،جـ٣ صـ٣١٠

وهذا الأسلوب ينسجم مع الفطرة الإنسانية التى لاتستجيب إلا للرفق والتدرج. وها هو ذا صلى الله عليه وسلم. يثير فيها الشوق إلى السخاء على سنة التدرج استنفارا للقوى الكامنة..

فالسخاء شجرة. ثم هو شجرة فى الجنة. وليست من أشجار الدنيا.فإذا تفتحت النفس. وأصغت الاذن. جاءها الأمل فى الوصول إلى الهدف. ومع أن الشجرة فى الجنة فأغصانها مدلاة فى الدنيا.

ثم هى فى يدك مادمت سخيا وبالمحتاجين حفيا.

ومع ذلك كله فهى واصلة بك حتما إلى ماتشتهى.. إلى الجنة!!.

وبهذا الأسلوب الفريد [يمكن للمتكلم أن يحرك العقل والمشاعر جميعا لينهض المستمع إلى التطبييق بكيانه كله.

وقل مثل ذلك فى كل مايتناوله الخطيب من قضايا.] (١)

مدى نجاح الخطبة عند تغلب احد العنصرين: الإقناع. أو الاستمالة

الإقناع العقلى وحده لايمكن ان يؤثر فى المشاعر والأحاسيس. لأن العقل له من الأساليب والوسائل التى تشبعه وتروى ظمأه وتغذيه. وهى الأدلة العقلية.

وللقلب والوجدان او العواطف والمشاعر والأحاسيس لها من الوسائل والأساليب التى تشبعها وتروى ظمأها وتغذيها. وهى الأدلة التى تخاطبها بالإثارة والاستمالة.

ولايمكن لأدلة العقل وحدها أن تستميل العواطف والقلوب.

---

(١) الخطابة فى موكب الدعوة صـ١٤ – ١٥

ولو كان الأمر كذلك لكان المستشرقون مثلاً فى مقدمة المؤمنين بالله ورسوله. ولكانت أفئدتهم من أشد الأفئدة حبا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ذلك لأن الدوافع الوجدانية فى القلب من خوف ومحبة ورجاء تفعل ما لايفعله الفهم العقلانى المجرد.

ولقد أجاد الشاطبى- رحمه الله- حينما فرق فى هذه الدوافع بين عامة المسلمين الذين دخلوا فى ربقة التكاليف. بدافع من عموم إسلامهم.

وخواصهم الذين دخلوا فى ربقة هذه التكاليف. يسوقهم ما هو أشد من مجرد التعقل والفهم. حيث يقول:-

- فالضرب الأول:

حاله: حال من يعمل بحكم عهد الإسلام وعقد الإيمان. من غير زائد.

- والثاني:-

حاله: حال من يعمل بحكم غلبة الخوف والرجاء أو المحبة.

فالخوف سوط سائق. والرجاء حَادٍ قائد. والمحبة تيار حامل.

فالخائف يعمل مع وجود المشقة.غير أن الخوف مما هو أشق يحمل على الصبر على ماهو أهون وإن كان شاقاً.

والراجي يعمل مع وجود المشقة أيضاً. غير أن الرجاء فى تمام الراحة يحمل على الصبر فى تمام التعب.

والمحب يعمل ببذل المجهود شوقاً إلى المحبوب. فيسهل عليه الصعب. ويقرب عليه البعيد. وتفنى القوى. ولايرى أنه أوفى بعهد المحبة. ولاقام بشكر النعمة.

واتخاذ الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الدوافع الوجدانية فى القلب مما أجمع المسلمون على ضرورته. (١)

وهكذا تبدو مسؤلية الخطيب فى إثارة القوى الكامنة داخل الإنسان لتنطلق من عقالها إلى جانب العقل الواعى وصولاً إلى مايرجوه من تأثير.

[وإذا كان المحاضر يستخدم البرهان بيانا للأرقام والأحجام. فإن هذا البرهان لايحمل على اتخاذ الطاعة سبيلاً ويتكفل بذلك إثارة الوجدان. وتلك وظيفة الخطيب.] (٢)

الذى هو أحوج إلى وسائل الإثارة والاستمالة أكثر من احتياجه إلى وسائل الإقناع العقلى. لأن الخطيب يخطب فى جماعة يسودها:-

١- وحدة الشعور والتفكير.

٢- الخضوع لسلطان الوجدان أقوى من الخضوع لسلطان الفكر.

٣- غلبة روح الجماعة على كل أفرادها حتى المستنيرين منهم.

٤- انتشار الشعور الجمعى بالعدوى والتأثير.

١ - وحدة الشعور:-

اهم ماتمتاز به الجماعة: سريان روح عامة تصوغ أفرادها على شعور واحد. وتفكير واحد. فتعمل بطريقة تغاير طريقة الفرد سواء أتشابه أفراد الجمع أم تغايروا فى أعمالهم وأخلاقهم ومداركهم.

وسبب ذلك: انضمامهم وصيروتهم جماعة واحدة.

ومن الأفكار والمشاعر. مالا يتولد أويتحول فيخرج من القوة إلى الفعل عند الفرد إلا فى جماعة.

---

(١) الموافقات للشاطبى جـ٢، صـ ١٤١ وفقه السيره د/ محمد سعيد البوطى صـ٦٦

(٢) الخطابة فى موكب الدعوة صـ١٧

[فالجماعة ذات عارضة متألفة من عناصر مختلفة. اتصل بعضها ببعض إلى أجل. كخليات الجسم الحى التى ولدت باتصالها ذاتا أخرى. لها صفات كل خلية منها على حدة. ولايوجد بين العناصر التى تتكون منها الجماعة حد وسط. وإنما الذى يوجد مزيج وصفات جديدة.

كما يحدث فى الجواهر الكميائية.

ألا ترى أنك إذا جمعت جَوْهَرَيْن مثل القواعد والأحماض تولد عن اجتماعهما جسم جديد. ذو خواص تخالف تماما خواص كل واحد من الجوهرين؟! [1]

٢- خضوعها لسلطان الوجدان أقوى من خضوعها لسلطان الفكر:

الجماعة يسيرها الوجدان اكثر مما يوجهها الفكر. لأن الأفراد إذا فرقت بينهم الخواص الفكرية المتأثرة بالتربية. أوالوراثة الخاصة أوالمواهب الفطرية. فإنهم يتشابهون فى الخواص الوجدانية والعاطفية.

[وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة فى الأمور التى مرجعها إلى الوجدان كالدين والسياسة الأدب والميل والنفور وغيرها إلا نادرا. فقد يكون بين الرياضى الكبير وصانع الأحذيةبعد مابين السماء والأرض من حيث العقل والذكاء. ولكن الفرق بينهما فى الفطر معدوم فى الغالب أو هو ضعيف جدا] [2]

(١) روح الاجتماع صـ٢٨

(٢) السابق صـ٣٠

ولذلك اذا اجتمع الأفراد فى مجتمع. خضعوا للوجدان والعواطف والأهواء واستترت قواهم العقلية.وانزوى التفكير الفردى. وصار السلطان للخواص المتشابهة النابعة من الوجدان .

فالجماعة تسيرها عواطفها. حتى أنك لاتجد فرقا كبيرا فيما يقرره جمع من نخبة الرجال ذوى الكفايات المختلفة

وما يقرره جمع كله من البسطاء فى موضوع المنفعة العامة. لأنهم لايمكنهم أن يشتركوا فى هذا العمل إلا بالصفات العادية التى لكل الناس (١)

ومما لامساغ للشك فيه: أن العواطف تتحكم فى الجماعات البدائية أكثر من العقل.

والجماعة المدنية أمام الخطيب المدنى تنزع إلى التفكير البدائى. فتميل إلى جانب العاطفة أكثر من الفكر .

فعلى الخطيب أن يثير بخطبته العاطفة والشعور لينقل أحاسيسه ومشاعره إلى الجمهور .

قال دلامير :- إن الذى يكتفى بالإقناع دون التحميس متكلم لابليغ-

وقال رفالور :- إن الأهواء والعواطف هى الخطيب فى الجماهير-

وقال ميرابو :- إنما السر فى البلاغةالخطابية أن يكونالإنسان ملتهبا بالعواطف . (٢)

٣- غلبة روح الجماعة حتى على المستنيرين :-

يتأثر بروح الجماعة كل أفرادها حتى المستنيرالمتبصر. فينطبع بطابعها ويتسم بالسذاجة وسرعة التصديق ويصير ثائراً عنيفاً تخلبه

(١) السابق صـ٣١

(٢) فن الخطابة د/ الحوفى صـ٥٠

الألفاظ والصور خلابة ماكانت لتستميل قلبه وتمتلك عواطفه لو أنه منفرد.

وذلك هو السر فى أن المحلفين يقررون أمورا يرفضها كل منهم إذا عرضت عليه منفردا.

وفى أن المجالس النيابية تسن قوانين أحيانا لايرضاها الأعضاء منفردين.

ولقد يفقد الفرد استقلاله الذاتى إذا انخرط فى الجمع . وتتبدل أفكاره ومشاعره فيصير البخيل جوادا. ويستحيل المتردد موقنا وينقلب الجبان شجاعا .

- هكذ قرر الشرفاء لما تحمسوا ليلة ١٧٨٩/٨/٤م التنازل عن امتيازاتهم. ومن المحقق أنه لو طلب ذلك من كل واحد منهم على انفرادلرفضه رفضا تاما [١]

وحتى على فرض أن الفرد يستطيع أن يسهم مختارا فى إيجاد بعض الانفعالات الاجتماعية فإن الحالة النفسية التى يشعر بها فى الجماعة مغايرة لما يشعر به منفردا .

فإذا انفض الجمع وكفت العوامل الاجتماعية عن التأثر فينا ووجد كل امرىء منا نفسه وجها لوجه فإن العواطف التى مرت بشعورنا قبل ذلك. تبدو لنا غريبة إلى حد أننا لانكاد نصدق أنها قد مرت بشعورنا فعلا .

ومن الممكن جدا أن يندفع بعض الأفراد المسالمين كل المسالمة إلى القيام بأعمال همجية متى وجد فى جماعة .

---

(١) السابق صـ٣٥

وينطبق هذا الإنفجار الجماعى المؤقت على حركات الرأى العام الأكثر دواما. أى على تلك التيارات الاجتماعية التى تحدث فى بيئتنا دون انقطاع . أى التى تتشأإما فى المجتمع بأسره وإما فى بعض دوائره الضيقة التى تمس العقائد الدينية والسياسية. أو التى تتعلق بالآراء الأدبية والفنية وغيرها. فالعواطف الاجتماعية التى تنفجر فى حفل ليست معبرة فقط عن مقدار من العاطفة مشترك بين أفراد هذا الحفل. بل هى معبرة أيضا عن شيىء جديد. فهى وليدة الحياة فى جماعة. لأن المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد .

وإنما هو مركب جديد ينشأ من اتحادهم. ولهذا المركب صفاته الخاصة...

فليعلم الخطيب أن الجماعة تنقاد بالاستهواء والتأثير. أكثر مما تنقاد بالمحاجة والإقناع وأنها إن كانت أضال من الفرد تفكيرا. واقل تروية . فإنها أغزر شعورا وأسرع استجابة. وهى قابلة للمقادة إلى الخير وإلى الشر.

فليستنفرها الخطباء إلى الغيرة على الوطن والذود عن الشرف وإلى التضحية انصرة الخلق والدين وإلى التفانى فى كسب المجد والفخار . فإنهم حينئذ يهزون أوتار القلوب فيستجيب لهم الشباب والشيب. [١]

٤- انتشار الشعور الجمعى بالتأثر والعدوى .

سرعان ما ينتشر الشعور فى الجماعة بالتأثر والعدوى. ويمتد هذا الشعور ويقوى بإطباق الكل على قبوله. فتغالى فيه الجماعة لأنها دائما تتغالى فى شعورها. ولذا لايستهويها إلا المشاعر المغالى فيها.

---

(١) فن الخطابة للحوفى صـ٥٤

فالخطيب التواق إلى قيادتها محتاج إلى الإكثار من التوكيد والتكرار والمبالغة.

لأن الجماعة تتطلب من أبطالها الغلو أيضا فى مشاعرهم. فهم القبس الأول الذى يسرى فى الجماعة نورا يهدى أو نارا تحرق .
وقد شوهد أن الجماعة تطلب من أبطال الروايات فى المسارح شجاعة وأخلاقا وفضائل ليست لأحد فى الوجود الحقيقى.
وتأثر الجماعة بالعدوى ظاهرة اجتماعية لا نفسية. متعمدة على المحاكاة. كأن يصفق الصف الأول مثلا فتصفق الصفوف الأخرى. او يهتف شخص فيردد الجميع هتافه.

وهم فى عملهم هذا مدفوعون بشعورهم لابفكرهم. فالتأثر بالعدوى خارجى لا داخلى

وكثيرا ما يأتى تأثر الفرد فى الجماعة بعدوى شعورية فيأتى عملا. إذا انفرد بنفسه وفكر فيما أتى به من عمل داخل الجماعة دهش من نفسه او خجل .

ولو أن شعوره كان داخليا نفسيا مادهش وما خجل .
ونجد هذا فى المحافل ممثلا فى الهتافات وفى التأثر الوقتى الذى لايلبث أن يزول او يضعف .
ثم فى الأحكام العامة التى تصدرها الجماعات غير مستندة إلى تعليل ولا تحليل. وإنما هى نوع من الإيحاء والعدوى . (١)
وقد أثبتت تجارب علماء النفس والاجتماع ومتخصصى فن الخطابة والإلقاء نجاح الخطيب فى خطبته إذا كانت أمام جمهور كبير متجمع

---

(١) فن الخطابة للحوفى صـ٥٥

فى مكان واحد. وذلك لسيادة الشعور الجمعى وخضوع الجميع لسلطان العاطفة والوجدان أكثر من خضوعهم لسلطان العقل والفكر. لذا كانت نصيحة علماء النفس فى هذا المجال دائما هى قولهم:-

-احشد جمهورك. اجمع جمهورك-!!!

يقول ديل كارينجى:- بما أننى أستاذ فى فن الخطابة تحدثت كثيرا كخطيب أو محاضر للجمهور, إلى نفر قليل من المستمعين تناثروا فى قاعة فسيحة وقت الظهر. وكذلك إلى عدد كبير منهم تكتلوا فى نفس القاعة بالليل. وقد ضحك الحاضرون مساءً من قلوبهم -لشدة تأثرهم بالخطبة- على نفس الأشياء التى جلبت مجرد الابتسامة إلى وجوه الحاضرين بعد الظهر -لقلة تأثرهم بالخطبة- ولقد صفق المستمعون بالمساء كثيرا فى المواقف التى لم يتجاوب معها مستمعوا بعد الظهر. لماذا؟!!

الحقيقة أنه ليس هناك مستمعون يسهل إثارتهم حينما يكونون متناثرين. وليس هناك ما يثبط الحماسة كالأمكنة الفسيحة المكشوفة والمقاعد الخالية بين المستمعين.

وقد قال هنرى وارد بيتشر فى محاضرته بجامعة ييل عن الوعظ:-

[يقول الناس كثيراً هل تظن أن الحديث فى حشد كبير ملهم الكلام أكثر منه فى نفر قليل؟!! وأقول: لا. فيمكننى أن أتحدث جيدا إلى اثنى عشر شخصاً. كما أتحدث إلى ألفين. بشرط أن يكون هؤلاء الاثنى عشر ملتفين حولى فى تراص حتى ليمكنهم أن يلامس كل منهم الآخر. ولكن الحديث إلى ألف شخص بين كل اثنين منهم فراغات يكون شبيهاً بالحديث فى قاعة خاوية......لذا:- [إحشد مستمعيك تحلق بهم بنصف المجهود] لأن الإنسان وسط جمهور

ضخم يفقد فرديته حيث يصبح فردا من الجمهور. ويحرك بسهولة أكثر مما يكون فردا واحدا. وسيضحك ويصفق للأشياء التى لاتكاد تثيره. حين يكون بين مجموعة صغيرة أو كبيرة من المستمعين. ومن السهل -إلى حد بعيد- استدراج الناس للعمل كفريق أكثر من العمل كأفراد.

أن الرجال الذين يذهبون إلى المعركة يرغبون فى القيام بأخطر الأشياء وأكثرها تهورا فى العالم وهم يريدون الاجتماع معا فخلال الحرب العالمية الأخيرة اشتهر جنود الألمان بالذهاب إلى المعركة فى بعض الأحيان وأيديهم متشابكة

الجماهير!! الجماهير!! الجماهير!!

إنها ظاهرة عجيبة وكل الحركات الشعبية الإصلاحية اندفعت إلى الأمام بعقلية الجماعة.

إذا كنا سنتحدث إلى مجموعة صغيرة يجب أن نختار غرفة صغيرة، وإذا كان المستمعون متفرقين أطلب منهم التحرك إلى الأمام ويجلسوا بالقرب منك.

أصر على ذلك قبل أن تبدأ الكلام .

لاتقف أمام المنبر إلا عندما يكون الجمهور مجتمعا،وإلا إبدأ وأنت فى مستوى موازٍ لهم. قف قريبا منهم. حطّم كل الرسميات. وأقم روابط حميمة. واجعل خطابك كالحديث. [1]

كيف يستمل الخطيب جمهوره ؟!!!

يستميل الخطيب جمهوره إذا التزم أموراً تعينه على الاستمالة ومنها:

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارينجى صـ١١٠-١١١

١- أن يتخذ الخطيب الجمهور أصدقاء لأفكاره. ويراعى معهم أسلوب المجاملة. فلا يجابههم بما ينفرهم منه . فتتولد الثقة المتبادلة بين الخطيب وجمهوره. وبالتالى: يصل الخطيب إلى مايريد.

٢- أن يتحدث معهم فيما يتصل بخبرته واختصاصه.

فليس من المقبول أن يتحدث واعظ دينى فى أدق المسائل الطبية أو الزراعية أو الصناعية.... إلخ.

وإنما ينبغى على المتحدث فى غير تخصصه أن يكتفى بالإشارة لا التفصيل.

٣- أن يراعى الخطيب المستوى العقلى والفكرى للمستمعين. فللمثقفين أفكار. وللعامة أفكار.

٤- كما على الخطيب أن يتجنب المظاهر التى تدل على ترفعه وكبريائه على سامعيه.

كما إذا حاول الخطيب أن يفرض رأيه. ويعلو بفكرته فيما يشبه التسلط. وعندئذ لايكسب الخطيب مودة المستمع وتتقطع بينهما حبال المودة. يقول بعض الباحثين :

- إن المستمعين يكرهون أن يتحدث إليهم الخطيب من عل كما لوكان أسمى منهم علماً وجاهاً. كما أنهم يكرهون المداهنة والملق .

وهم يدركون أن لهم حقوقاً وقدرات وآراء يجب أن تحظى بالاحترام.

فإذا وقف الخطيب منهم موقفه الذى يأملونه: امتلك أسماعهم. وحرك رغبتهم فى الوصول إلى الصدق والحقيقة. طالما هم يدركون أمانته وصداقته [1]

---

(١) الخطابة: د/ درويش صـ٣٦. والخطابة فى موكب الدعوة صـ٢٦٥

وعموما:-

يستطيع الخطيب أن ينفذ إلى قلب المستمع وعواطفه وعقله, مستميلا ومقنعا بمظاهر قد تكون من داخل الخطيب نفسه. أو من خارجه.

فالأولى: تتمثل في:

١- قوة شخصية الخطيب. وهي قوة مغناطيسية توهب لقلة من الناس يسيطرون بها على غيرهم اقناعا واستمالة.

٢- نجاحه في أول خطبة له في محلته: تحضيرا والقاءً.وكل مايتعلق بذلك.فيدين له الناس. ويستعدون لسماعه سلفاً متأثرين به وبأسلوبه. لأن الجمهور تذوب إرادته في إرادة زعيمه ومحركه.

٣- نفوذ الفكرة أو الموضوع الذي يتحدث فيه الخطيب. بأن عالجت مشكلة يئن منها المستمع. فتقبلها بحرارة شديدة.

الثانية:- قد يكون نفوذ الخطيب من مظاهر خارجية عن نفسيته وشخصيته. مثل : رنين اسم الخطيب . وشهرته . ومجده المورث. أومن وظيفته ومنصبه. او من سمعته وزيه.

ولذا قال -بسكال - بضرورة لبس الجبة والشعر للقضاة . ولولاهما لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم[1].

وأكثر ما يعول عليه في نفوذ الخطيب;هو مدى قوة شخصيته وموضوعه. وقوة شخصية الخطيب تأتي من موهبته وتدريبه المستمر وخبرته وسمعته. ولايمكن أن ينفذ بشخصيته إلا إذا التزم بالمقومات والصفات التي تؤهله لذلك[2]

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـ٣٥

(٢) راجع مباحث في عوامل نجاح الخطيب للمؤلف صـ٤وما بعدها

ولا يمكن له كذلك أن ينفذ بموضوعه إلا إذا أعد نفسه قبل إلقاء خطبته إعداداً خاصاً. من هذا الإعداد :ـ

أ- تحديد الموضوع وتحضيره.

ب- مراعاة الوحدة الموضوعية للخطبة.

جـ- وضوح أسلوبها.

د- تسلسل أفكارها.

هـ- الواقعية فيها.

و- تكرارها مع الإبتكار والتجديد فيها.

ز- البعد عن القضايا الخلافية.

ح - تحديد وقتها.

ط - الحكمة فى تطبيق ما سبق.

التفصيل:-

١- تحديد وتحضير الموضوع بكل دقة :-

الخطيب البارع هو الذى يحدد خطبته . ويحضر موضوعها تحضيرا دقيقا . حتى تكون خطبته مركزة ومنظمة معالجة المشاكل المعاصرة. بأسلوب العصر ووسائله. حتى يستطيع:-

أ- أن يربط بين الدين والحياة.

ب- ويفيد جمهوره بعلمه وخبراته.

ج- ويرضى دينه وضميره.

يرضى دينه الذى يحثه على إتقان أى عمل يقوم به " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" [١] ويرضى ضميره لأنه أخذ

[١] رواه البيهقى

بالأسباب وحضر موضوعه وحدده. فإذا وفق في خطبته حمد الله تعالى. وإذا لم يوفق يصبر لأمر الله تعالى. [عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء[١] صبر فكان خير له][٢] ويبدأ بتحديد موضوع الخطبة, وتجميع كل ما يتصل بموضوعها من قريب أو من بعيد, ثم يرتب عناصرها وأفكارها. ثم يشرحها مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية. ويستخلص النتائج والدروس التي تناسب الأحداث التي يعيشها الجمهور. وبذلك يشد انتباههم ويقنع عقولهم ويستميل وجدانهم.

أضرار عدم تحديد الموضوع وتحضيره :-

إذا لم يحدد الخطيب موضوعه. بدا وكل الدلائل تشير إلى أنه شارد الذهن. مشتت الفكر. يشرق ويغرب. ويأتي بافكار من هنا وهناك. بل ربما يبدو فيها التضارب والتناقض. مما يؤدى بالجمهور إلى الملل والانصراف عنه وعن خطبته.

وكل ذلك نتيجة اعتماد الخطيب على الكلام المرتجل الذى قد يخطر على بال صاحبه دون سابق تحضير.

ولايستطيع الإنسان أن يشعر بالارتياح حين يواجه مستمعيه. إلا بعد أن يفكر مليا ويخطط حديثه ويعرف ما الذى سيقوله.

لانه إن لم يفعل ذلك يكون كالأعمى الذى يقود أعمى فى مثل تلك الظروف.

---

(١) السراء هى كل مايدخل السرور والفرح على الإنسان, والضراء هى كل مايضر الإنسان أو يحزنه

(٢) رواه الإمام مسلم

لذا ينصح كبار الخطباء بتحديد وتحضير الخطبة قبل إلقائها.

١:- كتب تيدى روزفلت[1] فى مذكراته:-

انتخبتُ إلى المجلس التشريعى فى خريف سنة ١٨٨١م، وقد وجدتُ نفسى أصغر رجل فى المجلس، ومثل سائر الشبان والأعضاء غير المتمرسين. وجدتُ صعوبة بالغة فى تعلم الخطابة. وقد استفدتُ كثيراً من نصيحة رجل ريفى عجوز ثاقب النظر يقول:-

لاتتكلم حتى تتأكد أن لديك شيئا تقوله، وتعرف ما هو بالضبط، وحينئذ تستطيع أن تقوله وتجلس.[2]

وهنا نصيحة حكيمة من الدكتور تشارلز رينولد براون عميد مدرسة اللاهوت فى جامعة بيل. والذى كان يدرب الاخرين على الخطابة، وكيفية إلقائها وتحضيرها، وتوزيع بعض النصائح التى تفيد الخطيب. فيقول فى نصيحته:-

فكِّرْ فى النص أو الموضوع -الذى تريده للخطبة- وتأملهما حتى ينضجا ويستجيبا لك. وهنا يمكنك أن تولد منهما سلسلة كاملة من الأفكار الناضجة الناجحة. كما تتسبب جراثيم الحياة البالغة الصغر فى الامتداد والنمو... ويحسن كثيرا أن تتم هذه العملية على مدى طويل من الوقت وعندما يكون ذهنك مشغولا حقا فى تجميع المادة الخاصة بخطاب معين. فينبغى أن تكتب كل شئ يطرأ على ذهنك حالما

---

(١) ولد تيودورروزفلت فى سنة ١٨٥٨م وتوفى سنة ١٩١٩م وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة مابين سنة (١٩٠١م - ١٩٠٨م) وقد حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٠٦م بعد توسطه لإنهاء الحرب بين روسيا واليابان ونجاحه فى هذه الوساطة - جريدة الأهرام ١٩٩٦/٥/٢٧مصـ٢٠ - رجل له وجهان بقلم رجاء النقاش -

(٢) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارينجي صـ١٦

تختار موضوعك. وَسَجِّلْ جميع الأفكار المترابطة التى تطرأ لك. سَجِّلْ أفكارك كتابة فى شكل كلمات قليلة بحيث تثبت الفكرة ودع عقلك يبحث كل الوقت عن أفكار أخرى. وهذه هى طريقة تدريب العقل على الإنتاج. لأنك تستطيع بهذه الطريقة الإحتفاظ بعملياتك العقلية حية متجددة خَلّاقة. وَسَجِّلْ من تلك الأفكار جميعا ما ابتدعته أنت دون مساعدة. لأن هذا النوع من الأفكار أثمن بالنسبة لإنطلاقك العقلى من الياقوت والماس والذهب. ويحسن أن تسجل هذه الأفكار على قصاصات من الورق.. أو على أى شئ فى متناول يدك, وستجد هذه الوسيلة أيسر من حيث تنظيم وتشكيل هذه القصاصات المنفصلة عندما تأخذ فى تركيب مادتك..... ولا تتعجل هذه العملية لأنها من العمليات العقلية الهامة التى تستفيد من ممارستها, وهى كذلك الوسيلة إلى نمو العقل نمواً منتجاً حقاً.(١)

وخلاصةهذه النصائح:

أن الخطيب لكى ينجح فى خطبته لابد من :-

تحضير موضوع الخطبة. وإعداده إعداداً دقيقاً. ولكن: هل يعنى التحضير للخطبة جمع بعض الكلمات الرنانة.والعبارات الصحيحة. المكتوبة أو المسموعة؟!

أو هل يعنى التحضير للخطبة جمع القليل من الأفكار العريضة التى تستميلك قليلاً.؟!

قد يكون كل ذلك وارد,ولكن المعنى بتحضير الخطبة على وجه الحقيقة هو: [أنه جمع أفكارك أنت -كخطيب- وأرائك أنت، واعتقادك الشخصى. ودوافعك الخاصة. إن لديك مثل هذه الأفكار

---

(١) السابق صـ٢٨-٣٠

والدوافع تراودك كل يوم فى ساعات حياتك الواعية. بل إنها لتحوم فى أحلامك. إن وجودك كله ملئ بالمشاعر والتجارب. وهذه الأشياء كامنة فى أعماق عقلك الباطن كثيفة متراكمة كالحصى على شاطئ البحر][1]

إن التحضير والإعداد للخطبة يعنى :-

التفكيروالتأمل والاستنتاج والتذكر واختيار ما يعجبك أكثر من سواه. وصقله وجمعه فى وحدة فنية من صنعك الخاص .

لايبدو ذلك برنامجا صعبا. أليس كذلك؟!!

إنه يحتاج فقط إلى القليل من التفكير والتركيزالهادئ الذى يفكر به الخطيب تفكيرا مناسبا للمقام الذى تلقى فيه الخطبة:-

١ - يفكر فىعناصر موضوعه. عنصرا بعد عنصر .

٢- ثم يعمل على ترتيب هذه العناصربأيها يبدأ وبأيها ينتهى.

٣-ولايكفى التفكير فى المعانى فقط. بل عليه أن يفكر أيضا فى العبارات أو الجمل والكلمات التى يعبر بها.

٤- ويفكرفى كيفية مواجهة الجمهور بالخطبة.

٥-ولايكفى مجرد التفكير الشخصى. بل لابد من الرجوع إلى المصادر التى تفيد فى صنع الخطبة.

حقيق أن مايفيده الخطيب من اطلاعه الخاص وقراءاته المستمرة يمده بمعان وأدلة كثيرة.

ولكن لابد -خصوصا للمبتدئين- من مراجعة المصادر التى تمد بقوى أكثر .

---

(١) السابق صـ٢٧

وكلما كثرت مواجهة الخطيب للجماهيروطالت ممارسة الخطابة كان الإعداد أسهل عليه

هل إعداد الخطبة يعتبر عيباً فى الخطيب؟!!:-

إعداد الخطبة وتحضيرها ليس عيباً يشين الخطيب بل إن كبار الخطباء ومشهوريهم في القديم والحديث. في الشرق والغرب. كانوا وما زالوا يقضون وقتاً طال أوقصر. فى إعداد خطبتهم. قبل أن يخرجوا بها إلى الناس. هذا مع قدرتهم البالغة على الكلام فى أى موضوع من واقع تجربتهم وخبرتهم السابقة فى مجال الخطابة والإلقاء.

أمثلة من الخطباء القدامى :-

كان البلغاء القدامى المشهورن يحضرون خطبهم ويهذبونها ويتمرنون على إلقائها

هكذا كان يفعل شيشرون -

وكان كانتليان من أساتذة الخطابة عند اللاتينين يرى أن الارتجال لايتهيأ للمرء إلا فى أخر عمره. بعد أن يكون قد تدرب وتمرن.

وكتاب الجمهورية لأفلاطون يوضح أن جميع خطباء أثينا كانوا ينمقون العبارات قبل أن يلقوا خطبهم.

لذا تتراءى فيها آثار التعمل والتنقيح والإعداد.

وكان محظوراً على غير المتقاضين أن يترافعوا فى المحاكم .فاحترف السوفسطائيون بإعداد الخطب وبيعها لأصحاب القضايا ليستظهروها ويلقوها فى المحاكم فكانوا يجلسون على أفواه الطرق

إلى جانب المحاكم يمدون المتقاضين بخطب الدفاع, وبخاصة بعد انتشار الكتابة فى القرن الخامس قبل الميلاد.

وكان السفسطائىالمحضر للخطبةأو صانع الخطب كما كانو يسمونه,قويا فى القانون. وفى البلاغة. فيكتب الخطبة للمتقاضين وهم يحفظونها عن ظهر قلب ليفرغونها من أدمغتهم أمام القضاة[١] ولذا قَلّ: المرتجلون فى اليونان. وَقَلّ فيهم من يجسر على الخطابة. قبل التروية والتملى فى موضوعه.لأنه يخشى نقد السامعين لخطبته. ومما يدل على شيوع الإعداد فيهم:

أن كثيراً من خطبهم وصلت إلينا مكتوبة فى وقت لم يكن فيه الاختزال معروفاً كما هو الآن. فلا تظن أن بعض الكتاب كانوا يكتبون اختزالاً.[٢] والخطيب يلقى.[٣]

وفى الحياة العربية الجاهلية قبل الإسلام كان الارتجال أكثر شيوعاً من الإعداد والتحضير لظروف الحياة وقلة التدوين والكتابة عندهم .

أما الخطباء فى الحياة الإسلامية فقد كان الإعداد والتحضير للخطبة أكثر من الإرتجال.

ويدل على الإهتمام بالتحضير والإعداد للخطبة فى العصور الإسلامية :-

---

(١) تاريخ البلاغةو النقد د:/ابراهيمسلامةصـ١٤ ،وفن الخطابة للحوفى صـ١٩٩

(٢) اختزل برأيه: انفرد به واختزل الشيء : اقتطعه وفى حديث الأنصار يوم السقيفةوقد دفت دافة منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا- المعجم الوسيط صـ٢٣٢

(٣) فن الخطابة للحوفى صـ١٩٩

أ- أن أبا بكر الصديق لما دعى إلى السقيفة كان في طريقه من منزل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السقيفة- يزوّرْ [١] فى نفسه كلاما ليقوله فى جمع السقيفة.

ب- ولما انتهى خطيب الأنصار بقول الفاروق عمربن الخطاب رضى الله عنه:-

أردت أن أتكلم وقد زورت فى نفسى مقالة قد أعجبتنىأريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر [٢] ...

ج- ومما يدل علىاهتمام العرب بتحضير الخطب وتدوينها فى الورق ما أنشده ابن الأعرابى لأبى مسمار العكلى :-

للـه در عـامـر إذا نطق
في حفل إملاق وفي تلك الحلق

ليس كقوم يعرفون بالسرق [٣]
من خطب الناس ومما فى الورق

يلفقون القـول تلفيق الخلـق
من كل نضاح الذفارى بالعرق [٤]

إذا رمته الخطباء بالحدق [٥]

د-وكان بشار بن برد كثير المديح لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة قبل أن يدين بشار بالرجعة ويكفر جميع الأمة

---

(١) يعد ويحضر:
(٢) السيرة النبوية لإبن هشام جـ٤ صـ١٣٠
(٣) أى بالسرقة
(٤) المراد بالذفارىهنا يعنىبدن الخطيب
(٥) البيان والتبين جـ١ صـ١٣٣

وقد قال بشار فى تفضيل واصل على غيره ممن خطبوا معه عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق أنه كان يرتجل وأطال عنهم مع أنهم كانوا يعدون ويحضرون خطبهم:-

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا

وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلى بداهته

كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر بها أحد

قبل التصفح والإغراق فى الطلب

وقال بشار أيضا فى كلمة له يعنى تلك الخطبة:-

فهذا بديه لاكتحبير قائل

إذا ما أراد القول زوّره شهرا. [١]

هـ:- وقال البعيث الشاعر وكان أخطب الناس فى عهده [٢]

إنى والله ما أرسل الكلام قضيباً خشبياً وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك[٣]

---

(١)البيان والتبين جـ١ صـ٢٤

(٢)البعيث لقب له - واسمه خداش بن بشر من بنى مجاشع .وأمه أصبهانية .يقال لها مردة. وسمى البعيث بقوله

تبعث منى ماتبعث بعدما أسـ ... ـتمر فؤادى واستمر عزيمى

(٣) قضيباً خشبياً: أى لم يحكم ولم يجود. من السيف الخشيب الذى لم يصقل.

البائت: الثابت:والمحك: الخالى من العيوب.

و :- وأرادوا عبدالله بن وهب الراسبى[١] على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة فقال :- وما أنا والرأى الفطير [٢] والكلام القضيب [٣]

ز :- وقيل لابن التوأم الرقاشى[٤] : تكلم

فقال ما أشتهى الخبز إلا بائتاً[٥]

ح:- وقال أحد الشعراء لرجل:أنا أقول فى كل ساعة قصيدة. وأنت تقرضها فى كل شهر. فلم ذلك ؟!

قال: لأنى لاأقبل من شيطانى. مثل الذى تقبل من شيطانك.[٦]

كأنه يقول له:إن المهم ليس هو كثرة القصائد. وإنما المهم هو مدى تجويدها وتحضيرها وإعدادها.

ط :- وروى أن الشاعر أبرخس جاء يوماً إلى هوميروس يفاخره بكثرة شِعْرِهِ وسرعة عمله.ويعيره بقلة شِعْرِهِ وبطئه.

فقال هوميروس : بلغنى أن خنزيرة بأنطاكية.عَيَّرَتْ لبوة[٧] بطول زمن الحمل وقله الولد وفاخرتها بالكثرة.فقالت لها اللبوءة:لقد صدقت ! إنى ألد الولد بعد الولد ولكنه أسد[٨] !

---

(١)الراسبى نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. وكان قد خرج على علىّ بن أبى طالب فى أربعة آلاف. بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧هـ وقتل يوم النهروان سنة ٣٨هـ

(٢)الفطير كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه.

(٣)البيان والتبين جـ١ صـ٢٠٥

(٤) هو أحد البخلاء وقد أثبت له الجاحظ فى البخلاء رسالة طويلة

(٥) البيان والتبين جـ١ صـ٢٠٥

(٦) السابق جـ١ صـ٢٠٦

(٧) هى أنثى الأسد

(٨) فن الخطابة للحوفى صـ ٢٠٣

ى:– واشتهر كثير من أدباء العرب وبلغائهم بالتنقيح وافتخروا به حتى قال الحطيئة الشاعر: خير الشعر الحولى المحك .

وكان زهير بن أبى سلمى يسمى كبار قصائده: الحوليات[1] لأنه كان يمكث حولا كاملا فى إعدادها وتنقيحها .

ولذا قال الأصمعى:–

زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر.وكذلك كل من جَوَّدَ فى جميع شِعْرِهِ. ووقف عند كل بيت قاله. وأعاد فيه النظر. حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة[2]

وقال الجاحظ مفصلا ما قاله الأصمعى :

ومن الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا[3] وزمنا طويلا . يردد فيها نظره. ويجيل فيها عقله. ويقلب فيها رأيه . اتهاما لعقله. وتتبعا على نفسه. فيجعل عقله زماما على رأيه . ورأيه عيارا على شعره. إشفاقا على أدبه. وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات. والمقلدات. والمنقحات. والمحكمات. ليصير قائلها فحلا خنذيذا[4]. وشاعرا مفلقا[5].

وقد فعل خطباء وشعراء العروبة والإسلام ذلك لأنهم يدركون أهمية الإعداد والتحضير فى الشعر والنثر.

ولأنهم يعلمون أن الإعداد والتحضير سمة للإنتاج البليغ.

---

[1] – البيان والتبيين جـ٢ صـ١٢

[2] –البيان والتبيين جـ٢ صـ١٣

[3] – أى كامل تام

[4] – الخنذيذ من الشعراء:الشاعر المجيد المنفتح. والخطيب البليغ المفوه. والسيد الحليم. العالم بأيام العرب وأشعارهم وقبائلهم. والشجاع الذى لا يهتدى أين يؤتى لقتاله. والسخى التام السخاء... إلخ خناذيذ: المعجم الوسيط صـ ٢٥٨

[5] – البيانوالتبين جـ٢ صـ٩.

والناس لا يسألون عن هذا الإنتاج فى كم يوم تم؟!

وإنما يعجبون به ويمتدحون صاحبه . وما من أحد يسأل : كم ساعة أو يوما كان يقضيها المتنبى وشوقى فى نظم القصيدة. أو على بن أبى طالب والحجاج بن يوسف الثقفى فى تنسيق الخطبة. أو الجاحظ والمنفلوطى فى تحبير المقاله؟!!

فرب بيت منقح خير من قصيدة - ألف بيت - ورب سطر مجيد خير من كتاب(١) .

ثم إن الإعداد والتحضير يؤدى إلى تحسين وتجويد التصوير والتفكير.

ولأن تجويد التصوير يستدعى تجويد التفكير فى نظر - فلوبير - الكاتب الفرنسى المتفنن . فقد كان لا يكرر صوتا فى كلمة. ولا يعيد كلمة فى صفحة. وكان يتلو ما كتب بصوت إيقاعى ليؤلف بين الحروف والكلمات. ويوفق بين السكنات والحركات (٢)

فإذا كان الارتجال ضروريا فى بعض الخطب الاضطرارية,فإن الإعداد ضرورى فى بعضها الاخر. على تفاوت فىطريقته والحاجة إليه.

فالخطب السياسية لا مندوحة من إعدادها . وأى خطيب سياسى لا يعد خطبته إيجاداً وتنسيقاً فالإخفاق نصيبه.

على أن بعض الخطب السياسية يعوزها الإعداد إيجادا وتنسيقا وتعبيرا.

لحاجتها إلى دقة التعبير . ووزن الألفاظ كخطب المعاهدات وبعض خطب المؤتمرات الدولية فهذه تعد إعدادا كاملا.

والناحية التطبيقية على القانون - فىالخطبة القضائية - لابد من إعدادها إعداداً كاملاً أيضاً . تتجلى فيه الثقافة القانونية والثقافة العامة .

أمثله من أشهر الخطباء الغربيين المعاصرين:-

---

(١) فن الخطابة للحوفى صـ٢٠٣

(٢) فن الخطابة للحوفى صـ٢٠٣

١- ومن أشهر خطباء العصر الحديث فى الغرب: العالم الغربى دويت.ل مودى-

كيف حَضَّرَ هذا العالم خُطَبَهُ التى جعلته مشهورا عبر التاريخ ؟ قال مجيبا عن هذا السؤال:-

ليس عندى سر !! حين أختار موضوعا أكتب اسمه على ظاهر غلاف كبير، ويكون كبير! لَدَىَّ عادة الكثير من تلك المغلفات. فإذا وجدتُ اثناء القراءة معلومات مفيدة حول الموضوع الذى سأتحدثُ عنه. أسجلها وأدسها فى ذلك الغلاف. وأتركها به. وقد اعتدتُ أن أحمل معى كراسة مذكرات. إذا ما سمعتُ شيئا فى أية خطبة من الخطب يلقى ضوءا على موضوعى. فإننى أكتبه وأضعه أيضا فى الغلاف. وقد أتركه هنالك لمدة عام أو أكثر. فإذا ما أردتُ الخطابة من جديد. أخذتُ ما تَجَمَّعَ لَدَىَّ من هذه الأوراق. فأضفتها إلى دراساتي الخاصة. فتصبح لدى بذلك مادة كافية. وأقضى كل وقتى فى مراجعة خُطَبِى. فأقتطع شيئا من هنا. وأضيف شيئا هناك. وبهذه الطريقة تظل خُطَبِى دائما محتفظة بِجِدَّتِهاَ وطرافتها.[١]

ب:- وإليك كيف حَضَّرَ - لنكولن[٢] - خُطَبَهُ؟!!

لقد كان يعرف الحقائق ... إن إحدى أشهر خطب لنكولن : كانت تلك التى تعلن عن رؤيته الشخصية عن الحرية والعبودية:-

والتى قال فى أولها:- إن البيت المنقسم على نفسه لا يمكن أن يستمر. وأعتقد أن هذه الحكومة. لا تستطيع أن تحتمل على الدوام. وجود شعب نصفه من العبيد. ونصفه الآخر من الأحرار. لقد فَكَّرَ بهذا الخطاب. وهو فى طريقه إلى عمله المعتاد. وأثناء تناول طعامه. وسيره فى الشارع. وفيما هو يحلب بقرته فى الحظيرة. أو خلال مشواره اليومى إلى الجزار أو البقال. وقد ألقى شاله الرمادى على كتفيه. وسلة التسوق فوق ذراعه. وابنه

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٢٨

(٢) هو إبراهام لنكولن من أشهر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية.

الأصغر بجانبه يثرثر ويسأل.ويشد على أصابع والده الطويلة الرفيعة.ليحثه على التحدث إليه. لكن – لنكولن – يبقى مأخوذا بأفكاره يفكر بخطابه من دون أن يعى بوجود ابنه بجواره. وبين حين وآخر أثناء حضانة هذه الأفكار وتفريخها،يسجل ملاحظات ونتفا وجُمَلاً.هنا وهنالك.على الأغلفة المبعثرة وقصاصات الورق. أو أى أشياء أخر فى متناوله.ويختزنها حتى يتهيأ له أن يجلس ويرتبها. ثم يكتب ويراجع كل شئ. وأخيرا يصوغها جميعا فى خطاب للإلقاء والنشر.

لقد كان يثابر على الدراسة والتأمل والتفكر حتى يسهل عليه تحضير خطاب جديد كل يوم . عوضا عن ترديد خطابه القديم فكان موضوعه يتسع ويتشعب فى ذهنه [١]

ج:- قال – لوثر بربانك – قبل وفاته بوقت قصير: لقد أنتجت فيما أعتقد مليون فصيلة من النباتات لكى أحصل على فصيلة واحدة أو اثنين فقط من الفصائل الممتازة نسبيا. وقد أهلكت تقريباً جميع الفصائل الدنيا. فينبغى أن يكون إعداد الحديث على هذا النمط من السخاء والحصافة: اجمع مائة فكرة. ثم انبذ منها تسعين. اجمع مادة كثيرة ومعلومات أوفر مما تظن أنك بحاجة إليه بحال من الأحوال وليكن ذلك لمجرد منحك ثقة إضافية فى قدرتك. ولمجرد التأثير فى عقلك وقلبك وحالتك المعنوية عندما تقف

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارينجى صـ٢٩-٣٠ وقد صرحت جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/٥/١٩ م صـ٤ عن أحدى خطب لنكولن عن العبودية قائله:- بيعت خطبة تعود لعام ١٨٥٨م بخط يد أشهر رئيس أمريكى -إبراهام لنكولن- فى مزاد علنى بصالة كريستيزى فى نيويورك بمبلغ ٤٩٧ ألف و٥٠٠ دولار أمريكى. وكان لنكولن قد كتب الخطبة فى صفحتين ليعبر فيها عن تطلعاته لإنهاء العبودية فى بلاده.وألقاها خلال حملته الانتخابية . عندما كان مرشحا لمقعد فى مجلس الشيوخ .

لتتكلم. فهذا هو العامل الأساسى الهام فى الإعداد وإن كان ينساه دائما كثيرون ممن يخطبون فى الجماعات أو المجالس الخاصة.(١)

لذا قال - أدوين جايمس كاتل :-إن الخطب المجيدة أو الأحاديث ذات القيمة الممتازة. هى تلك التى تمتاز بالمعلومات الإضافية والامتلاء والوفرة الزائدة عن حاجة المتكلم.(٢)

وهذه المادة الاحتياطية من المعلومات, لا تتم ولا تتوفر عند الخطيب إلا بتحضير موضوع الخطبة تحضيرا دقيقا. وإعداده إعدادا جيدا. قبل مجئ موعد الخطبة بوقت كاف.

وهذا التحضير والإعداد لموضوع الخطبة يعطىالخطيب فرصة كبيرة للتأثر بخطبته . والتأثير بها فى غيره . كما يعطى الخطبة بهاء وجمالا من حيث أسلوبها وكلماتها.

أما الأساليب المرتجلة(٣) فهى أقل بهاءً ورونقا من المُعدّة والمُحضّرة.

وكذلك الأفكار المرتجلة تكون فجة مبتسرة.إذاقيست بالأفكار المدروسة الناضجة المختمرة.

ثم إن ظهور الخطيب بمظهر المجازف الذى لم يُعِدّ الخطبة. فيه اعتداد بالنفس واستهانة بالحاضرين. ودعوى - بلا دليل - أن خاطر الخطيب أسرع من خواطر الناس. وهذه كلها صفات لا ترتضيها الجماعات.

ولقد يعسر على المرتجل - تفكيرا و تعبيرا - أن يعالج الموضوع. وأن يصل منه إلى نتيجة. فهو كساع إلى الهيجا بغير سلاح. أو كهائم لا يعرف وجهته ولا المسالك إليها.

ويرتجل الكلام وليس فيه .:. سوى الهذيان من حشو الخطيب(٤)

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ٣٨-٣٩

(٢) السابق صـ٤٠

(٣) الملقاة بدون إعداد أو تحضير.

(٤) فن الخطابة للحوفى صـ١٩٩.

الجمع بين الإعداد والارتجال :-

بعدما بينا أن الخطيب معرض للارتجال في الظروف الاضطرارية وأن الخطيب يجب عليه أن يحضر موضوعه تحضيرا كاملا ويعده إعدادا دقيقا قبل إلقائه.

يتضح لنا أنه من الخير للخطيب أن يجمع بين الإعداد والارتجال. فيعد موضوعه . ثم لا يتقيد بما اعد . بل يتصرف كما تملى عليه الظروف. وحينئذ تمده ذاكرته بما قد أعده وتسعفه بديهته بالجديد الذى لم يعده. قال عبد الله بن المعتز :-

والقول بعد الفكر يؤمن زيفه .:. شتان بين روية[1] وبديه

وقال ابن الرومى :-

نار الروية نار جد منضجة

وللبديهة نار ذات تلويح.

وقد يفضلها قوم لسرعتها

لكنها سرعة تمضى مع الريح[2]

كيفية إعداد الخطباء خطبهم:-

للخطباء في إعداد خطبهم طرق شتى ملائمة لميولهم واستعدادهم وتجاربهم:-

فمنهم من يكتبها وينقحها كأنها مقال أو بحث ثم يستظهرها.

ومنهم من ينطق بالعبارات كأنه يملى ثم يقيد بعدذلك.

ومنهم من يستمر في تفكير صامت كأنه يسمع صوتا من باطنه،

---

(١) المراد بالروية: التأنى أو الدراسة أو التحضير. والمراد بالبديه: الفطرة أو الارتجال وعدم التحضير.

(٢) العمدة لابن رشيق ، جـ١ ، صـ١٢٩ ، وفن الخطابة للحوفى صـ٢٠٤

ومنهم من يعد جالسا.

ومنهم من يعد واقفا أو متمشيا .... إلخ.

وخير للخطيب الذى أعد خطبته كتابة أونطقا : أن يخط ما تجود به قريحته ثم يتأنق فى تهذيبها وهو يبيضها.

وربما لا يحتاج الخطيب إلى كتابة خطبته بعد التفكير فيها وتنسيقها، بل يكتفى بتقييد عناصرها إن كان من ذوى البديهة الحاضرة.(١)

من أفضل طرق الإعداد والتحضير :-

خير طريقة للإعداد أن الخطيب يعد خطبته- إن كانت مما يحتاج إلى إعداد - إعدادا كاملا ثم يتركها ويرتجل . أو يضعها أمامه مكتوبة ويكتفى باللمح الخاطف بحيث يستوعب الصفحة فى نظرة دون أن يشعر الجمهور بأنه يلمح. لأن الموضوع ما دام واضحا فى ذهنه ومدروسا فإنه ينبع من عقله الباطن دون عناء ولكنه فى طريقة اللمح هذه يكون أكثر وضوحا وأسرع نبعا وفيضا(٢)

أما إذا أمعن الخطيب نظره فى الصفحة أو الورقة. أو لمح الجميع أن الخطيب يقرأ فى ورقة.

فإن هذا الإعداد والتحضير له كثير من المساوئ التى تؤدى إلى انصراف الجمهور عن الخطبة والخطيب وعدم تأثره بهما . وذلك لأن الخطيب فى واد والجمهور فى واد آخر .

كما ان الخطبة قد تكون بعيدة عن ما يحسه المستمع. نظرا لأنها محضرة بطريقة آلية. والظروف طارئة تتطلب تغيير الموضوع ليزائمها. فلا يستطيع ذلك الخطيب لأنه مرتبط بنص مكتوب لا يمكنه أن يخرج عليه . بالزيادة أو النقصان.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٤٢ : صـ٦٠

(٢) فن الخطابة للحوفى صـ٢٠٥

كما أن عينه لا تفارق خطه إلى الجمهور. وبالتالى فهو لا يرى الجمهور ولا يحس بنبضه.

كما أن الجمهور ينصرف عنه لأنه يحس أن شخصا آخر يحدثه غير هذا الخطيب الماثل أمامه.

إذا .. لا رابط بين الخطيب والجمهور فى هذه الحالة. لفقدان عنصر التفاعل بين الملقى والمتلقى.

٢- وحدة الموضوع [١] :-

لكى تكون الخطبة مؤثرة ومثمرة. لابد أن تدور حول موضوع واحد. أو فكرة معينة. أو مبدأ محدد. لتكون مركزة وعميقة .وهذا الموضوع الواحد يقدم له الخطيب بمقدمة تناسبه. ثم يشرح الموضوع شرحا وافيا. مدعما شرحه بالأدلة والبراهين النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وأقوال الحكماء والشعراء. وأعمال ذوى الشهرة من القواد والمصلحين. والأحداث التاريخية. والأدلة العقلية والمنطقية.

ويظل يكثر من أدلته التى تقنع وتستميل الجمهور على اختلاف مستوياته الثقافية والفكرية. حتى يعمق الموضوع ويثبته فى نفوس السامعين وأذهانهم. ويثير انفعالهم. ويدفعهم إلى العمل به. والدفاع عنه. والدعوة إليه.

ثم يختم الخطيب خطبته بتلخيص موضوع خطبته. وذكر نتائجه الطيبة وثمارة النافعة.

المطلوب لتحقيق وحدة الموضوع :-

(١) الفرق بين تحديد الموضوع فى العنصر السابق. ووحدة الموضوع هنا . يتمثل فى أن التحديد يكون من بين الموضوعات الكثيرة موضوع محدد. وإذا تحدد الموضوع يجب أن يكون فيه وحدة موضوعية أو عضوية.

تتطلب وحدة الموضوع من الخطيب

أن يكون محيطا بموضوعه إحاطة تامة . ومتصورا له تصورا كاملا.دارسا له دراسة عميقة. عارفا بجميع جوانبه ونتائجه واثاره المترتبة عليه.

فائدة وحدة الموضوع:-

إذا كانت الخطبة موحدة الموضوع. تمكن الخطيب من عرضه عرضا جيدا مقنعا مؤثرا يرسخ فى ذهن وقلب المستمع .إقناعا واستماله ولا يشتت دهنه فى موضوعات عديدة.

الخطبة المتعددة الموضوعات ومدى نجاحها :-

إذا تعددت الموضوعات فى الخطبة الواحدة من دعوة إلى فضائل شتى كالصدق والأمانة والوفاء .....إلخ.

وتنفير من راذئل متنوعه كالكذب والخيانة والخلف ..... إلخ.

أولا : تبدو الخطبة كشكولا جامعا لموضوعات عدة مبتسرة مقتضبة لم يدرس واحدا منها دراسة كاملة ترسخ فيأذهان السامعين وتمتلك مشاعرهم.

وكيف يدرس موضوعا معينا دراسة عميقة وهو الذى يذكر للجمهور كل ما يخطر بباله من شتات الموضوعات.

ثانيا : يبدو الخطيب فيها إنسانا بهلوانيا استعراضيا يعرض أفكاره بغرور وسطحية إنه يبدو للسامعين وكأن الخطبة مجال له لكى يعرفهم أنه رجل مرسوعى المطلع على كذا وكذا من المعارف والقصص.

ثالثا : هذه الخطبة المتعددة الموضوعات تجعل المستمع مشتت الفكر حول ما عرض عليه. فيخرج من الخطبة سائلاً نفسه:- ما موضوع الخطبة التى حضر للاستماع إليها؟.

ما الفائدة المركزة التى خرجنا بها ؟ فلا يعرف إجابة عن هذه الأسئلة . وذلك:-

١:- لأن الخطيب تنقل بالمستمع كالطائر من حقل إلى حقل . ومن غصن إلى غصن. ولم يمكث في دوحة واحدة مدة كافية ليقف بالمستمع على حقائق موضوعية معينة.

أرأيت لو أن هذا الخطيب المتعدد موضوعات الخطبة اكتفى بموضوع واحد فأعطاه حقه من الدراسة والحوار والعرض ودعمه بوثائق واستشهادات وأحسن في الأداء ألم يكن هذا أفضل من الموضوعات المتعددة؟! بلى!!

ولكان الجمهور على درجة عالية من الثقافة والفكر المستنير. وذلك لكثرة من يلتقى بهم من خطباء ومناقشين وعلماء.

إن الخطيب صاحب الخطبةالمتعددة الموضوعات كالطبيب الذى يخطب في قواعد الصحة العامة أمام مريض بالرمد فكلامه هذا لا يمس مواضع الألم عند المريض.

ولكن لو تحدث في خطبته عن الرمد فقط لكانت الفائدة أوقع من الخطبة فيالصحة العامة[(١)]

٢:- ثم إن هذه الموضوعات الكثيرة ذوات معان واحدة مكررة. وأحيانا ذوات أسلوب واحد تكرر على مسامع الناس فيملونها.

٣:- على أن هذه الخطب بموضوعاتها المتعددة. ومعانيها الموحدة. وأساليبها المكررة. متخلفة عن قافلة الزمن المتجدد الأحداث والظروف الطارئة. مباينة للحياة الواقعية ليست فيها جدة.

وكثيرا ما يشغل الناس حدث جلل. أو طارئ يتشوقون إلى سماع كلمة مقنعة فيه. فإذا بهم يسمعون نغمات لا صلة لها بما يتوقون إلى سماعه.

---

(١) الخطابة اليوم بين الواقع والواجب: د. أحمد محمد الخراط صـ٥٧.

٤:- ومن نتائج ذلك كله أنها غير ملائمة لعقلية السامعين. وغير مشوقة. فأسلوبها : رث متكلف. ومعانيها لا تشويق فيها . وإلقاؤها باعث على التثاؤب والملل[١] .

٥:- كما أن السامع يخرج منها مشوش الفكرة تتصارع فى ذهنه نتف متناثرة من هنا وهناك.

وفى هذا تحميل للخطبة ما لا تطيق. نعم قد يستأنس قسم من الناس حين يستمعون إلى طرائف كثيرة فى مواضيع كثيرة فى الخطبة الواحدة.
لكن هذا الأسلوب لا يؤتى ثمرته المرجوة. حيث يخرج المستمع من الخطبة صفر اليدين.

٦:- ثم إنه يغلب على القائمين بمثل هذه الخطب المتعددة الموضوعات: سطحية المعارف. والبعد الشاسع عن الإلقاء المشوق. والأسلوب الجذاب.[٢]

٧:- هذا مع ملاحظة أن كثرة الكلام فى موضوع واحد. أو موضوعات متعددة ينسى بعضه بعضا.

فالحديث عن الموضوع الثانى . ينسى ما قيل عن الأول. كما ينسى الثالث ما قيل عن الثانى. وهكذا تنتهى الخطبة بأفكار باهته تكون قليلة. ثم تنسى سريعاً.

وتجد تنبيهاً على ذلك فى وصية لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال:

إذا وعظت فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً.

---

(١) فن الخطابة للحوفى صـ٢٠٦

(٢) السابق صـ١٠٧

- وهذا ينطبق على تناول الأغراض الكثيرة. ولكنه لا ينطبق على إيراد الأدلة الكثيرة . فالأدلة الكثيرة إذا نسى بعضها بقى بعض آخر. ولكن الفكرة الأساسية لا تذهب[١] .

٣- الوضوح فى أسلوب عرض الموضوع:-

إن عرض الموضوع بأسلوب سلس أو منهج سهل. وعبارات بينة. وكلمات واضحة الدلالة. بينه المقصد. بعيدة عن الغموض والتعقيد: يجعل المستمع ينشد إلى سماع الخطبة. والاهتمام بها. وبالتالى الاقتناع بما فيها. والاستماله نحوها.

يقول أبو هلال العسكرى:-

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد. ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسا عذبا وسهلاً حلوا.

ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا . وأعز مطلبا . وهو أحسن موقعا وأعزب مسمعا.[٢]

وهذا كله يستدعى اختيار الألفاظ المفهومة والعبارات السهلة مع مراعاة ثقافة السامعين والتبسير عليهم وتفصيل ما هو مبهم.

ويساعد على وضوح الأسلوب أشياء كثيرة

أولها: البعد عن الألفاظ اللغوية العويصة. التى لا يدركها السامعون إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

وفى الألفاظ السهلة مندوحة عن التكلف والإغراب.

ويضرب البلغاء مثلاً للإغراب بما رواه الجاحظ فى البيان والتبيين قال أبو الحسن :

---

(١) الخطابة : د. عبد الجليل شلبى صـ٣٢

(٢) البيان والتبين جـ١ صـ٣٨٠

مر أبو علقمة النحوى[١] ببعض طـرق البصـرة. وهـاجت بـه مِرَّةٌ. فوثب عليه قوم منهم. فأقبلوا يعضون إبهامه. ويؤذنون فىأذنه. فأفلت منهم فقـال -:

مالكم تتكأكأون على كما تكأكأون على ذى جنـة[٢] إفرنقعـوا عنـى - قـال: دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية.

قال أبو الحسن :

وهاج بأبى علقمة الدم فأتوه بحجام

فقال للحجام:-

- اشدد قصب المـلازم. [٣] وأرهـف ظبـات المشـارط . وأسـرع الوضـع. وعجل النزع. وليكن شرطك وخزا. ومصك نهـزا . ولا تكرهـن أبيـا. ولا تردن أتيا.

فوضع الحاجم محاجمه فى جونته[٤]

ثم مضى[٥] .

فهذا الحديث من أبى علقمة فيـه كـلام كثير غريـب يحتـاج إلـى كثير مـن الوضوح.

وهو مما يجب على الخطيب أن يتنزه عن الإتيان بمثله.

---

(١) أبو علقمة النحوى النميرى . متأهل واسط قديم العهد يعرف اللغة كـان يتقعـر فـى كلامه ويعتمد الغريب من الكلام.

(٢) والجنة : الجنون

(٣) الملازم : جمع ملزم بالكسر. وهو خشبتان مشدود أوساطهما بحديد. تجعل فـى طرفها قناحة فتلزم ما فيها لزوماً شديدا.

(٤) الجونة : سلسلة مستديرة مغشاة أدماً.

(٥) البيان والتبيين جـ١ صـ٣٠٨

ومن الغريب أيضا : ماذكروا عن محمد بن إسحاق[١] قال :-
لما جاء ابن الزبير، وهو بمكة قتل مروان بن الضحاك[٢] بمرج راهط[٣]
قام فينا خطيبا فقال :-إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة فاخطأت إسته
الحفرة . وألهف أم لم تلدني على رجل من محارب[٤] كان يرعى في جبال
مكة يأتي بالصربة من اللبن.[٥] فيبيعها بالقبضة من الدقيق. فيرى ذلك
سدادا من عيش. ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة[٦]

وقال أبو يعقوب الأعور السلمي:-

وخلْجة ظن يسبق الطرف حزمُها .:. تشيفُ على غنْم وتمكّنْ من ذحْل

صدعتُ بها والقومُ فوْضى كأنهم .:. بكارةُ مرْباع تبصبُصُ للفحْل

خلجة ظن أي جذبة ظن. كأنه يجذب صواب الرأي جذبا. والخلج: الجذب.
تشيف:- أي تشرف. يقال أشاف وأشفى بمعنى واحد أي أشرف.
بكارة مرباع : أي نوق فتيةٌ قد أذلت للفحل.
مرباع: أي نوق رئيس. وهي ما يأخذه الرئيس.
والمرباع: ربع الغنيمة في الجاهلية لصاحب الجيش.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي صاحب السيرة والمغازي وأحد الرواه عن يعقوب بن عتبة توفي سنة ١٥٢ هجرية.
(٢) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري ولد في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة. ولاه معاوية الكوفة. ثم عزله. ثم ولاه دمشق. ولما مات معاوية بن يزيد ابن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ هجريه.
(٣) قرب دمشق بسوريا.
(٤) يعني الضحاك بن قيس ينتهي نسبه إلى محارب بن فهر.
(٥) الصربة : الواحدة من الصرب وهو اللبن الحقين الحامض.
(٦) البيان والتبيين جـ١ صـ٣٨٠.

وقال ابن عنمة[١] :

لك المرباع منها والصفايا .:. وحكمك والنشيطة والفضول[٢]

ثانيا:- كما يساعدعلى الأسلوب السهل الواضح : وضع كل كلمة فى موضوعها المناسب من الجملة.ولذا عابوا على الشاعر العربى.
قوله:-

بثينة شأنها سلبت فؤادى .:. بلاذنب أتيت به سلاما

وهو يريد أن يقول: سلا بثينة ما شأنها سلبت فؤادى بلا ذنب أتيت به. ومثله فى الإغراب قول الشاعر

ولو أن ما بى جوى وصبابة .:. على جمل لم يدخل النار كافر

وهو يريد أن يقول:- لو أن جملا تحمل ما يحمله الشاعر من الهيام لذبل ونحل حتى يصير كالخيط الدقيق.

وحينئذ يدخل الجمل فى سم الخياط وعندها تتفتح أبواب الجنة للكفار فيدخلونها . وهو معنى غير مألوف. [٣]

وقائل هذا البيت . ينظر إلىالأية الكريمة :- إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط[٤] .

ولكن شتان بين المعنى الواضح فى أسلوب الآية الكريمة . وبين المعنى الغامض فى أسلوب الشاعر.

إذا: فمن الخطأ البين : أن يغرب الخطيب فى أسلوبه ويتسامى بتعبيره تساميا يغلق معانيه علىالسامعين. -

---

(١) هو عبد الله بن عنمة الضبنى . أحد شعراء المفضليات . وهو مخضرم . شهد القادسية

(٢) ربع : صفا - نشط : فضل - راجع البيان والتبيين جـ١ ، صـ٣٨١.

(٣) الدعوة والخطابة صـ٤٥

(٤) سورة الأعراف اية (٤٠)

وقد ذكر الجاحظ أن :– تلخيص المعانى رفق . والاستعانة بالغريب عجز . والتشادق من غير أهل البادية بغض . والنظر فى عيون الناس عِيٌّ. ومس اللحية هلاك. والخروج عما بنى عليه أول الكلام إسهاب.

ثم قال . رأس الخطابة : الطبع . وعمودها : الدربة . وجناحاها : رواية الكلام .وحليها : الإعراب . وبهاؤها : تخير اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه[١]

ذلك أن الغريب والتعقيد لا يلائم السامعين ,ويحوجهم إلى التفكير فى المعانى ,والتأويل للعبارات ,فننقطع صلتهم بالخطبة والخطيب .

فاختر من المعانى ما لم يكن مستورا باللفظ المعقد . مغرقا فى الإكثار من التكلف . فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى . مع براعة اللفظ وغموضه على السامع[٢] .

هل الوضوح يعنى التحدث بالعامية؟!!

لاأعنى بوضوح الأسلوب أن يكون الكلام مبتذلا سوقيا . أو ضحلا عاميا.

ـ وإنما أعنى أن يكون الكلام سهلا فى قوة . وساميا فى وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين ولكنهم يعجزون عن الإتيان بمثله.

ـ كما أعنى أن يكون الكلام موافقا للسامعين . يلائم الزمان. ويشاكل البيئة. ويؤائم الموضوع . وينبئ عن مقدرة الخطيب البيانية.

والخطيب البارع من خطب فى العامة . وأنصاف المتعلمين فرفعهم إليه . ولم يهبط هو إليهم.

فعلى الخطيب ألا يبالغ فىالتوضيح إلى حد الضحالة او الابتذال. ولقد مدح ابن سناء . الملك القاضى الفاضل فى قصيدة بديعة جاء فى مقدمتها الغزلية.

---

(١) البيان والتبيين جـ١ ، صـ٤٤.

(٢) فن الخطابة للحوفى ص،،١٧٨ ، ١٧٩

صلينى وهذا الحسن باق قربما .:. يعزل بيت الحسن منه ويكنس.

فكتب إليه القاضى الفاضل :- القصيدة فائقة فى حسنها . بديعة فى فنها، ولكن بيت - يعزل ويكنس - أود أن أكنسه من القصيدة . فإن كلمة الكنس غير لائقة بمكانتها,وذلك لابتذالها[١] .

فالقصد فى ذلك أن تجتنب السوقى والوحشى . ولا تجعل همك فى تهذيب الألفاظ.

وشغلك فىالتخلص من غرائب المعانى. وفى الاقتصاد بلاغ . وفى التوسط مجانبة للوعورة,وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه. وقد قال الشاعر :-

عليك بأوساط الأمور فإنها .:. نجاة. ولا تركب ذلولاً ولا صعباً.

وقال آخر :- لا تذهبن فى الأمور فرطاً .:. لاتسألن أن سألت شططاً

وكن من الناس جميعاً وسطاً. وليكن كلامك ما بين المقتصر والغالى. فإنك تسلم من المحنة عند العلماء. ومن فتنه الشيطان. [٢]

ومما يحبب السهولة إلى الخطباء: أن الكلمات السهلة أحفل فى كثير من الأحيان بالشعور والعاطفة من الكلمات الغريبة,التى لا تحصل إلا بالمطالعة والمدارسة.

فمثلاً كلمة حرب أو غارة أو جوع تثير ما لاتثيره كلمة وغى . أو سغب، ... والجنوح إلى السهولة لا ينافى قوة العبارة ودقتها . وذلك كقول الحجاج بن يوسف الثقفى فى خطبته بالبصرة:-

أيها الناس من أعياه داؤه . فعندى دواؤه . ومن استطال أجله فعلىّ أن أعجله . ومن ثقلت عليه رأسه . وضعت عنه ثقله . ومن استطال ماضى عمره قصّرْتُ عليه باقيه . إن للشيطان طيفا وللسلطان سيفا[٣]

---

(١) الدعوة والخطابة صـ٦٤

(٢) البيان والتبيين جـ١ ، صـ٢٥٥

(٣) فن الخطابة للحوفى صـ١٧٩.

فالأسلوب هنا : واضح المفردات والمعانى. جيد غاية الجودة . ووافٍ بالغرض الذى يريده الخطيب . وهو التهديد والترهيب.

وسائل وضوح الأسلوب

١- ان يكون الخطيب دارسا لموضوعه . فاهما له فهما عميقا دقيقا لأنه إذا : يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا جليا مفهوما . فيتجنب الغموض والإبهام. والتعبير المحتمل المعنيين. ولا شك أن الغموض فى الأسلوب مَرَدُّهُ إلى أحد أمرين:

إما إلى غموض المعنى فى ذهن الخطيب.

وإما إلى عجزه عن الإفصاح عما بذهنه. وكلاهما عيب.

٢- اختيار الكلمات التى تناسب الموضوع والسامعين. بحيث تدل على معانيها فى يسر وسهولة ودقة. وتنفذ إلى الذهن والقلب معا.

٣- حسن عرض الجمل وتأليفها. لتفصح العبارة عن المعنى الذى يقصده الخطيب: فيقدم أو يؤخر. ويذكر أو يحذف. ويؤكد أو لا يؤكد. وذلك ليكون معناه واضحا دقيقا.

وعُدة الخطيب فى ذلك: أن يلتزم القواعد النحوية والبلاغية والذوق الأدبى.

٤- ترتيب الموضوع ترتيبا منطقيا. فالمقدمات تسلم إلى النتائج. والمعانى الأساسية قبل المعانى الفرعية. والمعانى كلها. مترابطة متماسكة لا فجوات بينها تقطع أفكار السامعين.

٥- ولابد فى الخطب العامة من البعد عن المصطلحات الخاصة بالعلوم والفنون.

لأنها مجهولة لبعض السامعين. ولأنها لا تلائم الموضوع.

لهذا عابوا على بعض الخطباء من علماء الكلام أنهم استعملوا فى خطابتهم بعض المصطلحات الخاصة بهم.

كما قال بعض من خطب على منبر ضخم رفيع المكان:

ثم إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسَوّاهُم. ومكّن لهم. لاشاهم فتلاشوا[١]. ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى أن يؤخذ فوق يده.

وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته:

وأخرجه الله من باب الليسية.فأدخله فى باب الأيسية[٢].

وقال مرة أخرى: فى خطبة له: هذا فرق ما بين السار والضار. والدّفّاع والنّفّاع[٣].

وقال مرة أخرى: فدل ساتره على غامره[٤].

ودل غامره على منحله. فكاد إبراهيم السندى[٥]. يطير شققاً[٦]. ويتقد غيظاً[٧]. هذا: وإبراهيم من المتكلمين. والخطيب لم يكن من المتكلمين.

وإنما جازت هذه الألفاظ فى صناعة الكلام.حين عجزت الأسماء عن اتساع المعانى[٨].

---

(١) تلاشوا: يراد بالملاشاة: الإفناء كأنه جعلهم كلا شئ..

(٢) الليسية: نسبة إلى لَيْسَ وتعنى النفى. والأيسية: نسبة إلى أَيْسَ وتعنى الإثبات. وفي لسان العرب: أيس وليس: أى من حيث هو. وليس هو.

(٣) الدّفّاع: الشديد الدفع. والنّفّاع: الفائدة أو المنفعة – المعجم الوسيط ص٢٨٩،٩٤٣

(٤) ساتره: العداوة ثم يكاشفه بها. والغامر: من الأرض خلاف العامر.وهو ما غمره الماء أو الرمل أو التراب.وصار لا يصلح للزرع – المعجم الوسيط ص٤١٦، ٦٦١

(٥) ابن شاهك يروى عنه الجاحظ كثيرا. وكان أبوه السندى يلى الجسرين ببغداد للرشيد.ونعته الجاحظ بأنه مولى أمير المؤمنين.

(٦) هى عبارة عن المبالغة فى الغضب والغيظ.

(٧) يتقد غيظا. بمعنى: ينشق ويشتعل غيظا.

(٨) البيان والتبيين ج١ ص١٤٠.وفن الخطابة للحوفى ص١٨١.

ولكن ينبغى على الخطيب أن يبتعد عن هذه المصطلحات وأمثالها، لأن كل المستمعين ليسوا من أرباب فنه وصناعته.

لذا ينصح ينصح علماء النفس والخطابة بأن الخطيب يجب أن يكون واضحاً فى أسلوبه متجنباً الألفاظ الغريبة على الجمهور.

يقول: ديل كارينجى – مخاطبا الخطباء -: تحت عنوان [تجنب المصطلحات الفنية]:-

إذا كنتَ تنتمى إلى مهنة فنية. كأن تكون مثلاً محامياً أو طبيعياً أو مهندساً. أو كنتَ فى عمل ذى مستوى عال. فضاعف حذرك إذا تحدثتَ إلى آخرين. واختر العبارات الواضحة الجلية. واقرنها بالتفصيلات الضرورية. وإنى -كارينجى- لأقول لك ضاعف من حذرك. فإن عملى-كأستاذ فى فن الخطابة والإلقاء- فرض علىّ الاستماع إلى مئات الأحاديث والخطب التى فشلت فى هذه الناحية فشلاً ذريعاً وتكشف الأمر عن أن المتحدثين لم يراعوا المستوى الثقافى أو الفكرى للمستمعين. ومع ذلك ظلوا محتفظين بمستوياتهم الخاصة دون أن ينزلوا إلى مستوى السامعين.

فماذا كانت نتيجة ذلك؟!

ظل المتحدثون أو الخطباء يخوضون أحاديث يشوبها الغموض. وكانوا يسوقون أفكارهم مستخدمين عبارات تتفق مع تجربتهم.وقد يكون لها معناها الخاص عندهم. ولكنها بالنسبة لغير المثقفين ظلت مختلطة وغامضة.

فما الذى يتعين على مثل هذا الخطيب أن يفعل إذن؟! إن عليه أن يقرأ. وأن يتبع النصيحة التى أسداها عضو الشيوخ السابق :- بيفردج أوف إنديانا فقال:-

إن الطريقة العملية الصحيحة هى أن تختار شخصاً يبدو عليه أنه أَقَلُّ السامعين ذَكَاءً.وتحمله على الاهتمام بحديثك. وهذا ما لا يمكن أن يحدث إلا بالبيان الواضح للحقائق والاستنتاجات الجلية. وأحسن من ذلك كله وأصوب. هو أن تتوجه بحديثك إلى صبى أو فتاة بصحبة والديْه.

وَقُلْ لنفسك ولمستمعيك بأعلى صوت -إن شئت- إنك تحاول أن تكون واضحا إلى حد يحمل الطفل على أن يفهمك ويفهم شرحك لخطبتك. ويكون قادرا بعد الخطبة أن يروى لك ما قُلْتَهُ فيها.(١)

وبهدا يتضح أن الوضوح فى عرض أسلوب الخطبة أمر ضرورى لنجاحها.

٤- تسلسل أفكارموضوع الخطبة:-

كل خطبة تتكون من عناصر أيا كانت: قليلة أو كثيرة.

وهذه العناصر ينبغى أن تكون متسلسلة تسلسلاً منطقيا مقبولا. كل عنصر يسلم للذى يليه كتسلسل درج السلم.

أهم عناصر الخطبة:

تبدأ الخطب: بمقدمة. ويستحسن فيها أن تكون قصيرة لأنها بمثابة تلغراف من الخطيب للجمهور بأن يستعد لسماع الموضوع وشرحه. ثم عرض الموضوع شرحاً وتفصيلا. ثم استدلالا عقلياً ونقلياً. ثم نتيجة أو خاتمة. موجزة لما سبق فى الموضوع.

وكل جزء من هذه الأجزاء مبنى على ما قبله.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٦٢

- فالمقدمة تلفت انتباه السامع إلى موضوع الخطبة.
وعرض الموضوع وشرحه يوحى بأهميته وضرورته.
والأدلة النقلية والعقلية تؤكد شرح الموضوع. وأهميته للمستمع. كما تقنع المستمع وتحفزه إلى موضوع الخطبة وتحرضه على العمل والالتزام به.[١]-
ثم بعد ذلك تكون النتيجة.فيها تلخيص للموضوع واستخلاص للعبرة والدروس المستفادة منه.والإلزام للمستمع بما فى الخطبة.بعد ما اقتنع به من خلال الأدلة العقلية والنقلية.

فائدة تقسيم الموضوع وتسلسل أفكاره:-

فائدة هذه الطريقة فى تقسيم الموضوع وتسلسل أفكاره وعناصره؛ أن الناس إن عجزوا عن استيعاب التفصيلات الجزئية. فلن يعجزوا. عن استيعاب العناصر الأساسية الكلية التى يعرضها الخطيب فى خطبته مقسمة مسلسلة تسلسلاً منطقياً. وبإمكان كل فرد من المستمعين أن يفسرها لنفسه تفسيراً مقبولاً. وبهذا يظل الموضوع حيا واضحاً للأذهان باقيا ببقاء القرينة. وهى التقسيم والتسلسل المنطقى.
ومن المعلوم أن عناصر الخطبة ليست كلها سواء فى الأهمية. فمنها ما هو حتمى وضرورى. ومنها ما هو تكميلى.
فعلى الخطيب أن يختار العناصر ذات الأهمية لتكون موضع تركيز واهتمام. فهو يُلِحُّ عليها بالشرح والأمثلة. بينما لا يفعل ذلك بالأجزاء الأخرى. وكل ذلك يتوقف على تقسيم الخطبة. وترتيب أقسامها.

---

(١) الخطابة د. شلبى ص٣٢

حتى إذا انتهى الخطيب من خطبته يكون المستمعون قد أدركوا الهدف الذى يرمى إليه الخطيب.

مثال لهذا التقسيم:-

وعلى سبيل المثال: أراد خطيب أن يدعو إلى التبرع لمساعدة مشروع خيرى به أيتام وفقراء. فكيف يوجه خطبته ويعرض موضوعه؟!

أ- يأتى بمقدمة وجيزة تبين أن الإسلام دين التعاون. وأن المسلمين أمة واحدة. يجمعهم شعور الإخاء. ويؤذيهم أن يكون بينهم جائع أو عار أو محتاج. وأن الدين الإسلامى يأمرهم بتحاشى وجود شئ من ذلك بينهم.

ب- ينتقل بعد هذا إلى التعريف بحال المشروع الذى يدعو لمساعدته. ويصف ما يقدمه للأيتام والفقراء الذين به. وهذا هو العرض.

ج- ينتقل من هذا إلى دعوتهم للتبرع - وهذا هو النتيجة-

د- يعينه فى هذا أمور كثيرة تتوقف على مهارته وثقافته وعمق تفكيره. كقوله:-

إن هؤلاء المساكين قد ينشئ المشروع منهم نفوسا صالحة. وأشخاصا نافعين لمجتمعهم. وإذا لم يعنهم المشروع كانوا جراثيم فساد وضررا على الناس. من هؤلاء من أخنى عليهم الدهر. وكانوا قبل ذلك أبناء تجار أثرياء أو زراع موسرين أو عباداً صالحين.

إن أى واحد من السامعين مهما كان ثريا أو صحيحا لا يأمن أن يصير أولاده إلى هذا المصير. وقد يلح على ذويه المرض والفقر أو

طرأ عليهم سوء السلوك المدمر . فكما يود أن يجد من يعين أولاده. عليه أن يساعد هؤلاء.

هذه النقطة الأخيرة هى قمة الخطبة.وينبغى أن يتخير لها العبارات المثيرة. وفيها يعلو صوته. ويبدو انفعاله وأسفه وحزنه. وهو بهذا قد سار فى خطبته سيرا مرتبا. انتقل فيه من عنصر إلى عنصرآخر انتقالا طبيعيا.

كيف يتذكر الخطيب عناصر موضوعه ليكون متسلسلاً؟!

هناك طرق كثيرة يستطيع الخطيب من خلالها أن يتذكر الموضوع وعناصره من أهمها:-

أولا:- التركيز:- بأن يركز الخطيب على المطلوب لموضوعه فقط. أثناء تحضيره وقراءته لخطبته. وذلك:-

أ- باستحضار المعانى وتجسيدها عند قراءة الكلمات أو الجمل.

ب- وبترتيب أفكاره حسب ورودها فى الألفاظ. [وحبذا لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية فى النفس. لأن التشبيه أسلوب مبين. إذ يربط المشبه بما هو معروف وَحَىٍّ. ولذلك كان ارتباط الأفكار بصورة حية مؤديا لتحسين الذاكرة.][1]

جـ- ويكون التركيز أيضا: بالقراءة بصوت مرتفع. حيث تشترك ثلاث حواس.[2] فى التقاط المعنى وتصويره فى العقل. وهذا يؤدى إلى تحسين الذاكرة مما جعل لنكولن حريصا كل الحرص على القراءة بصوت مرتفع. ولما سئل عن السر فى ذلك قال:- عندما

---

(1) قواعد الخطابة وفقه العيدين: وأحمد غلوس صـ١٧٢

(2) هى العين واللسان والأذن.

أقرأ بصوت مرتفع تشترك حاستان فى اقتناص الفكرة. فأنا أرى ما أقرأه أولا. ثم أسمعه ثانيا. ولذا أستطيع أن أتذكر بدرجة أقوى.(١)

د- كما يكون التركيز كذلك بتسجيل ما يقرأه الخطيب كتابة. [لأن عقولنا تعتمد على الرؤية. ولأن انطباعات النظر تثبت. ونستطيع فى معظم الأحيان أن نتذكر وجه الشخص حتى إن عجزنا عن تذكر اسمه.

إن الأعصاب التى تصل بين العين والمخ أكبر من تلك التى تصل بين الأذن والمخ خمسًا وعشرين مرة -ولدى الصينين مثل مأثور يقول:- إن رؤية الشئ مرة خير من سماعه ألف مرة-](٢)

ويمكن للخطيب أن يسجل ما يقرأه كتابة فى جمل قصيرة تساعده على التركيز. وقد استخدم هذه الطريقة أحد مشاهير الخطباء فى العالم الغربى يقول ديل كارينجى:- إن اكتشاف مارك توين طريقة استخدام ذاكرته البصرية مَكّنَتهُ من تناسى المذكرات التى عرقلت خطبه عدة أعوام. فيقول مارك توين عن نفسه:- كنتُ ألقى محاضرة كل ليلة عن ظهر قلب. فكان لابد لى كل ليلة أن أستعين بمذكرات تملأ صفحة كاملة حتى لا يختلط على الأمر. وكانت هذه المذكرات عبارة عن بدايات الجمل:- الطقس فى ذلك الأقليم.. - جرت العادة فى ذلك الوقت.. -ولكن يسمع أحد فى كاليفورنيا أن .. جمل من هذا الطراز يتكون منها ملخص الخطبة أو المحاضرة لتقينى القفزات.(٣) أو الحصر والتعلثم والرتج.....إلخ

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٦٤

(٢) السابق صـ٦٤

(٣) السابق صـ٦٥

هـ- ويمكن التركيز أيضا: بإبعاد كافة المعوقات الحسية. وقت القراءة والتحضير للخطبة. لأنها تصرف بعض الفكر إليها. ولذلك تجد كثيرا من الناس لا يفهم جيدا إلا فى مكان بعيد عن الناس والضوضاء والتكلف.(١)

و- وقد يتعود الناس على طرق أخرى للتركيز وتحضير مواضيع خطبهم. كالمشى ذهابا وإيابا فى البيت أو المكتب أو المنتزهات العامة.....إلخ. أو كالاسترخاء فى مضجعه مثلا.

وليعلم الخطيب أن خمسّ دقائق من التركيز العقلى الحى النشيط يأتى بنتائج أعظم من التفكير الهازل الموزع لمدة أيام عديدة. ولقد كتب هنرى وارد بيتشر فى هذا المعنى يقول:- إن ساعة واحدة من التفكير الجاد خير من سنة كاملة من التفكير الحالم. وقال يوجين جريس:- إذا كان هناك شئ واحد تعلمته أكثر أهمية من سواه. ومارسته كل يوم وفى أى ظرف من الظروف. بل فى كل ظرف من الظروف: فهو تركيز الفكر فى أى عمل تناولته. وهذا سر من أسرار القوة. وبخاصة قوة الذاكرة.(٢)

ثانيا:- التكرار:- بأن يكرر الخطيب القراءة لموضوع خطبته تكرارا ذكيا مركزا أكثر من مرة على فترات متقطعة. وذلك لأن العقل الباطن ينشغل بين فترات التكرار بتوثيق ترابط الأفكار. كما لا يشعر الذهن بالإرهاق الناتج عن التكرار المتتابع.(٣)

ثالثا:- الترابط :- بأن يربط الخطيب الموضوع الذى يتحدث فيه

---

(١) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د/ عبد الغفار عزيز صـ٦٦

(٢) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٦٢

(٣) يراجع كتاب مباحث فى عوامل نجاح الخطيب صـ٣٨ وما بعدها

بشئ موجود فى الذهن من قبل. وذلك كتاريخ ميلاده أو تاريخ حصوله على جائزة. أو تاريخ حدث مشهور ..... الخ.

أو يربط عناصر الخطبة بعضها ببعض حتى يسهل عليه إيرادها وقت الإلقاء. ويعرضها بأسلوب يتناسب مع المستمعين. ويجب أن تنتظم فى تسلسل منطقى بحيث تؤدى النقطة الأولى إلى النقطة الثانية إلى الثالثة بشكل طبيعى.

ما الحل لو وجد الخطيب نفسه فجأة خالى الذهن من موضوع الخطبة؟!!:-

لنفترض أن خطيبا ما فجأة وجد نفسه خالى الذهن. وبدا يحدق النظر إلى مستمعيه صامتا وعاجزا عن الاستمرار.

إنه لموقف مرعب. إن كبرياءه يمنعه من الجلوس بارتباك وخيبة أمل. وهو يشعر أنه قادر على التفكير بالنقطة التالية أو بنقطة ما. لو أن لديه مهلة عشرة أو خمسة عشر ثانية. لكن خمسة عشر ثانية من الصمت القلق أمام الجمهور كارثة. فما الذى يجب القيام؟!

أ: إما أن يسأل جمهوره عن مدى وصول صوته إلى المؤخرة. مع علمه التام بوصوله!!

ب: وإما أن يكرر آخر فقرة أو آخر كلمة وقف عندها.

مثال: عندما وجد أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى البارزين نفسه فى موقف مماثل. سأل المستمعين بوضوح فى مؤخرة الغرفة. عما إذا كان صوته مرتفعا كفاية - وكان يعلم أنه واضح -لكنه كان يريد أن يتسع له الوقت. ففى هذه الوقفة المؤقتة تمكن من جمع

أفكاره والبدء فى الحديث.[1] ولكن ربما يكون المنقذ الأكبر من هذه الزوبعة العقلية أن تستخدم آخر كلمة أو عبارة أو فكرة فى اخر جملة. لتبدأ بها جملة جديدة. لأن مثل هذه الطريقة سيمد أمامك سلسلة من الحديث لا نهاية لها.

مثال:-

لتطبيق هذا الكلام على الواقع. تخيل أنك تريد الحديث أو الخطبة عن موضوع النجاح فى العمل. ولكنك وجدت نفسك فى طريق عقلى مسدود بعد أن قلت مثلاً:- إن العامل العادى لا يتقدم لأنه لا يهتم اهتماماً حقيقاً بعمله. ولا يظهر إلا قدرا ضئيلا جداً من الإبتكار.

فعليك حينئذ أن تبدأ عبارتك التالية بكلمة -الابتكار- وإن كان من المحتمل أنك لا تعرف ماذا ستقول بعد ذلك. أو كيف ستختم هذه الجملة. ولكن فلتبدأ مهما كان الأمر. لأن العرض السئ خير من الهزيمة القاضية التى سببها السكوت المفاجئ أثناء خطبتك فلتبدأ بجملة جديدة بهذه الفكرة فتقول مثلا:- إن القول والتوجيه والدفع المستمر للعمال الذين يرفضون القيام بأى تفكير جديد ليعد من أشد الأشياء إغاظة وإثارة للحنق.

حسن لقد تغلبت على عقبة السكوت بهذه الجملة. فلتتعمق مرة أخرى ويجب فى هذه المرة أن تقول شيئا عن التخيل. فتقول مثلاً:- إن التخيل هو الشئ الذى نحتاجه........[ويقول سليمان الحكيم:- حيث لا يوجد خيال فإن الناس يهلكون.....]

لقد قمنا بشيئين فى هذه المرة دون أن نتورط أو يلاحظ المستمع عيبك. فلتأخذ بلب الموضوع وتستمر فى الخطبة أو الحديث فتقول:- إن عدد العمال الذين يهلكون فى معركة العمل لمما يؤسف له. وأقول يؤسف له لأن هؤلاء الرجال والنساء أنفسهم كانوا يستطيعون بمزيد من الإخلاص.

---

(1) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٧٣

ومزيد من الطمـوح. ومزيـد مـن الحماسـة. أن يرفعوا أنفسهم فوق الحد الفاصل بين النجاح والإخفاق. ومع ذلك فالإخفاق فى العمل لا يؤدى مطلقا إلى هذه الحالة.

وهكذا يستمر الخطيب فى ذكر هذه الأمور البسيطة التـى قد لا تكون لها صلة بموضوع الخطبة أصلا.وخلالها ينبغى أن يفكر بنشاط فى موضوعه الأصلى حتى يجد له مخرجاًيوصله إلى موضوعه الأصلى.أو ينتهى به من الموقف الصعب الذى هو بصـدده. ومـع ذلك كلـه. فـإن هذه الطريقة ممتازة. لأنها إسعاف أَوَّلِي للعقل الذى يعتريـه الضعف لمدة وجيزة. من جراء النسيان.وهى بهذا الوصف وسيلة لاستعادة الحديث الشارد.(١)

فائدة هذه الطريقة:-

لقد حققنا فى هذا الوقت أهدافا كثيرة من دون أى تعقيد.

الأول:أنك تغلبتَ على الصمت القاتل. والثـانى:أنـك شـغلتَ المستمع عن التفكير فى عجزك.حين كررت الجملـة الأخيرة.وربطتها بشئ من الخيال السريع. والثالث:تنشيط الذهن ليواصل الخطبـة. على أى حال ممكنة.

٥- الواقعية فى الخطبة:-

من أهم الأمور التـى تمكن الخطيب من النفوذ إلـى عقل المستمع وعاطفته مقنعا ومستميلا: أن يكون واقعيا فى خطبته.

وذلك: بأن تنسجم الخطبة مع الواقع الذى يعيشه الناس.

أى بالحديث فى أمراض المجتمع وعلله التى يئن منها فى حياته الحاضرة. أو فيما يستجد من أعمال خيرة تفيد المجتمع فى حاضره ومستقبله.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ٧٤-٧٥ .

فيتكلم الخطيب فى أمر يهم الجماعة. مبينا حسنه أوقبحه. وما سبب هذا الأمر فى الأفراد أو الجماعات. وما موقف الإسلام منه.
مبينا المقارنة بين هذا الأمر. وبين غيره من الأمور التى تتصل به من قريب أو من بعيد. ثم يقدم الحلول الإسلامية الصحيحة التى تعالج المشكلات المعاصرة. التى يعيش فيها الناس.
والداعية الناجح. والخطيب الناصح.هو الذى يشاهد ببصره. وبصيرته معا. كل ما يدور فى مجتمعه من قضايا. ثم يختار من هذه القضايا قضية لموضوع خطبته. ليتمكن من التأثير فى الجمهور الذى يفتح قلبه وعقله لكل خطيب يشاركه أحداثه وقضاياه.
[إن واقع الحياة اليومية هو تاريخ الإنسانية الحاضر. وهو مستودع أخطائها وصوابها. فإذا أخذ الداعية. أو الخطيب مادة حديثه من صميم ما يجرى فى هذه الحياة. وتحدث عن صوابه وخطئه. وصوّر كلا فى صورته الحقيقية. وعالجه بروحه الربانى. ووزنه بميزانه الإلهى. فقد بَلَّغَ الرسالة. وأدى الأمانة. وسيجد أن كلامه قد غمر الأسواق. وسيطر على الأندية. ودخل البيوت. واستقر مع القراء فى المخادع. لأن الحياة تولت حمله إلى كل ذلك.] (١)
وذلك. لأن جسرا من الثقة ربط بين المستمع. وخطيب لا يحدثه من برجه العاجى العالى. وإنما يدور معه فى فلك الواقع .ويعيش معه فى نفس الحياة التى يحياها كل الناس علىاختلاف مستوياتهم وطبقاتهم.

---

(١) تذكرة الدعاة: البهى الخولى ص٢٥٤. والخطابة د. محمود عمارة ص٢٠٦

قال الفارابى :- إن أنفع الطرق التى يسلكها الخطيب : تـأمل أحـوال النـاس . وأعمـالهم . وتصرفـاتهم . مـا شـهدها ومـا غـاب عنهـا. مـا سمعه أو تنامى إليه منها . وأن يمعن بالنظر فيها . ويميز محاسنها ومساوئها. ويبين النافع والضار لهم منهـا . ثـم ليجتهـد فـى التمسـك بمحاسنها . وحث الناس على طلبها لينالوا من منافعها [(١)]

بم يكون الخطيب واقعياً ؟؟!!

يكون الخطيب واقعيا بمراعاة عدة أمور من أهمها:-

١- دراسة أحوال الجماعة: لأن هذه الدراسة تعين الخطيب على تعرف ميولها. ومتجهـات هذه الميـول . وبالتـالى : تحديـد المسـار الموصـل إلى امتلاك ناصيتها . أما إذا كان الخطيب فى واد . وأحداث الناس فىالزمـان والمكان فى واد آخر . فلا قيمة للخطبه ولا للخطيب.

٢- وعلـى الخطيـب أن يراعـى الظـروف والملابسـات القائمـة .روى غوستاف لوبون فى كتابه روح الجماعـة : أنـه رأى أثنـاء حصـار بـاريس جمهورا يسوق ضابطـا عظيمـا مـن ضبـاط الجيـش إلـى مقـر الحكومـة . والناس حوله يكادون يتميزون من الغيظ . ويتهمونه بأنه باع للأعداء رسم معقل فرنسى ويطالبون بدمه فخرج أحد أعضاء الحكومة - وكـان خطيبـا بارعـا - وكـان المنظـور أن يدافـع عـن هذا القـائد. المظلـوم وأن يذكـر للجمهور الثائر أن هذا لقائد مهندس عظيم . وأنه أقام حصونا عديدة . وأن رسوم هذه الحصون ليست سرا . وأنها تباع فىالمكتبات.

ولكن عضو الحكومة وقف خطيباً فىالجمهور قائلاً :

اطمئنوا أيها السادة . فإننا سنقتص من هذاالخـائن اقتصاصـا لا رحمـة فيـه يجعلـه عبرة لكل معتبر . فـاتركوا حكومـة الدفـاع تكمـل التحقيـق الـذى بدأتموه . وسيذج به فى السجن حتى حين.

---

(١) الخطابة : أبو زهرة صـ٥٤

وبعد انصراف الجموع الثائره أطلق سراح القائد . وعـاد إلـى بيتـه مشيعا بالحفاوة والتقدير.

ويسوق لنا شكسبير خطبة رائعةفى مسرحيته الشـهيرة -يوليـوس قيصـر- حيث تآمر بروتس أحد زعماء روما مع جماعة من صحبـه. علـى صديقـه الحميم الامبراطور يوليوس قيصر واغتاله.

وتحمس الشعب لبروتس الذى أعلـن أنـه قتلـه ليحمـى الشـعب مـن طغيانـه ودكتاتوريته . وهنا تقدم القائد انطونيو مستأذنا بروتس فى إلقاء كلمة وداع للامبراطور القتيل . فأذن له . فاستهل خطبته بإعلانه:- أن بروتس رجـل شريف . قتل صديقه الامبراطور خدمـة للشـعب . وضحـى بصداقتـه فـى سبيل وطنيتـه . أمـا وقد مـات قيصـر . فـإن حرمـة المـوت تسـمح لنـا أن نودعه الوداع الأخير وأن نذكر بعض مـآثره فـى كلمـات الـوداع. نعـم إن بروتس رجل شريف . ولكن الإنصاف يقتضينـا أن نقـول كلمـة الحـق فـى قيصر فإنه دافع عن أطراف الامبراطورية وضم إليها أقاليم عديدة زادتها قوة ومنعة . وبوأتها مكانا محمودا.

نعم! إن بروتس رجل شريف . ولكن قيصر رجل شريف أيضا أوصى بما جمعـه مـن أمـوال لتـوزع بعـد وفاتـه علـى فقـراء الشـعب . وهـا هـى ذى وصيته وقد قرأ الوصية . فاثار حماسـة الشـعب إلـى جانبـه بعـد أن كـان ضده . ثم قال:-

نعم : إن بروتس رجل شريف . ولكنه أخطأ فى اغتيال قيصر فحرم شعب روما من قائد مغوار لا يسمح الزمان بمثله. وخسارته لا يمكن أن تعـوض . وظل يردد مآثره حتى اسـتطاع بلباقتـه وفصاحتـه أن يثـير الشـعب علـى بروتس بعد أن كان متحمسا له. وقاد أنطونيو الشعب فى ثورة عارمة ضد بروتس .وانتقم منه شر انتقام[1]

---

(١) الخطابة أبو زهرة صـ٦٩

٣- ثم إن على الخطيب أن يراعى الحالة النفسية والعقلية للجمهور. فالخطبة التى يلقيها

فى جمهرة من المثقفين الممتازين. غير الخطبة التى يلقيها على جماعة من العمال أو الفلاحين . والخطبة التى يلقيها الخطيب على طلبة الجامعة. غير الخطبة التى يلقيها على طلبة الإعدادى. والخطبة التى يلقيها فى مجتمع من السيدات. غير الخطبة التى يلقيها فى مجتمع من الرجال.

٤- ومن مراعاة الكلام لمقتضى الحال مراعاة حال الخطبة نفسها. فعلى الخطيب أن يختار الأسلوب الذى يصوغ به خطبته فالخطبة الإنتخابية . غير الخطبة المدنية. غير الخطبة الثورية . غير الخطبة الإجتماعية ..... إلخ[1]

٥- وعلى الخطيب - فوق ذلك : أن يتحسس ما يعنيه الشباب والشابات. والشيوخ .من مشاكل وأزمات. فيقدم لها الحل الصحيح. ويبصرهم أيضا بالغزو الفكرى الذى اندس فى أذهان الكثيرين. فزعزع فيهم العقيدة. وشوه الفكر الإسلامى الصحيح. وأثرت فيهم المادية حتى احتلت فيهم وفى تفكيرهم مكان الصدارة.

٦- تنوع الخطبة:-

وذلك بأن لا يقتصر الخطيب على لون معين من مواضيع الحديث دون غيره.وذلك كأن يتحدث فى جميع خطبه. عن العقائد فقط. أو الجهاد فقط. أو الاقتصاد فقط.أو محاربة الأضرحة فقط. بل يجب على الخطيب أن ينوع فى خطابته بين شتى مواضيع الحديث.

---

(١) الدعوة والخطابة صـ٤٢

وقد كان النبى ﷺ. وخلفاؤه وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين يخطبون فى مواضيع متنوعة. ولم يقتصروا على لون. فخطبوا فى مجال العقيدة. والشريعة والأخلاق والاجتماع. والجهاد والاقتصاد ..... الخ.

والخطب تختلف مواضيعها وأنواعها. فى مقدار حاجتها إلى ثقافة الخطيب.وفى نوع هذه الثقافة.

فالخطب السياسية والقضائية تحتاج إلى قدر من الثقافة أكثر مما تتطلبه الخطب الحربية والحفلية. والألوان الثقافية التى تقتضيها الخطبة الدينية. غير الألوان التى تقتضيها الخطبة القضائية.

كذلك يختلف القدر المطلوب من الثقافة بحسب السامعين فلكل جمهور نوع من الثقافة يناسبه.

والخطيب فى جميع الحالات محتاج إلى أن يكون مزودا بقسط من الثقافة. يستطيع به أن يجيد الموضوع الذى يخطب فيه. ويستطيع به أن ينير الطريق أمام سامعيه. ويشعرهم أنه أضاف إلى معارفهم شيئا جديدا.

ولقد يعتمد الخطيب على ثقافته فى إضفاء الجدة والطرافة على الموضوعات المعتادة فى خطب التكريم والتأبين. فيسترعى الانتباه. وينال الإعجاب. ولهذا أوجب أرسطو على الخطيب أن يلم بنظم الحكم. وأصول الأخلاق. وأنواع الأدلة. وموارد الدولة ومصارفها. وطرق تنمية الثروة وما شاكل ذلك مما كانت تقتضيه أحوال المجتمع حينئذ. (١)

٧- تكرار الخطبة:-

---

(١) الخطابة لأرسطو صـ٤١-٤٣ وراجع فن الخطابة للحوفى ص٢٠

فـى حيـاة المسـلمين كثـير مـن المناسبات تتكـرر كـل عـام.كمناسـبة الهجرة. والإسراء والمعراج. وعاشوراء ..... الخ.

ولابد أن يتكرر الحديث فى هذه المناسبات كل عام. وتكرار الخطـب فى هذه المناسبات شئ جميل. لا بأس به, ولا غبار عليه.

ولكن المآخذ تنشأ حين يعمد الخطيب إلى إعـادة الخطبـة التـى ألقاهـا فى سنة ماضية بتلك المناسبة, من غير أن يغير أو يبدل فيها أى شئ.

إن كـل مناسـبة مـن هـذه المناسبات لهـا جوانــب كثـيرة. فيسـتطيع الخطيب أن يأخذ فى كل خطبة جانباً من تلك الجوانب ويشبعها درساً وشرحاً وإيضاحاً. حتى إذا كانت السنة الأخرى تنال جانبـاً آخـر مـن تلك المناسبة وهلم جرا. وبذلك يقدم شـيئا جديـداً فـى كـل خطبـة مـن خطبه.

لأن النفس الإنسانية غالبا تتوق إلى الجديد. وتمل مــن التكـرار الـذى استمعت إليه, حتى فى حياة الإنسان العادية وسلوكه اليومى. فإذا نجد الخطيب الى خطبة ألقاها بنصها على جمهور بعد مدة من إلقائها. فإن الجمهور سرعان ما ينصرفون عنه. وعن خطبته. فيفقد الخطيب بذلك عنصر الاستمالة. اللازم فى الخطبة.

فإذا أراد الخطيب أن يعيد خطبة ألقاها آنفاً. لابد أن يعيدها فى قـالب جديد. وثوب قشيب. وبدعم مديد, من الأدلة والبراهين. وذلـك ليحـس المستمع أن الخطيـب مهتـم بـه. مقدر لعقلـه وفكـره. وبهـذا يسـتطيع الخطيـب أن يسـيطر علـى قلـوب المسـتمعين وعقولهـم. باسـتمالته وإقناعه.

٨:- الابتكار والتجديد:-

إن الخطبة الناجحة هى التى يكون فيها أفكار ومعان جديدة مبتكرة. ومفيدة. وهى التى لا يقتصر الخطيب فيها على إعادة ما يقرأه فى المراجع مردداً له كالببغاء.دون أن يمحصه تمحيصا علمياً دقيقاً. وينقله إلى الجمهور بأسلوب جديد مبتكر. فالتنوع والابتكار فى وسائل مخاطبة الجماهير، يسهم فى تحقيق أكبر قدر من القبول والاقتناع. وهذا بخلاف ما يصنعه بعض الخطباء. حيث يعمد الواحد منهم إلى بطون الكتب ينقل منها. ثم يصب ما ينقله فى آذان الناس صباً! يفعل ذلك. بينما البيئة من حوله. وأحداث مجتمعه.تعج بمختلف الأحداث الحية. التى يعيشها الناس فعلاً، والتى يمكن أن تستغل أحسن استغلال، لشد انتباه الناس واستمالتهم من جهة.

ومن جهة أخرى هى فرصة متاحة لعلاج الأمراض السارية فى أوصال المجتمع فعلاً، وإدراك الخطيب لهذا الأمر، يدعوه إلى إعادة النظر فى وسائل التوجية ولغة الخطاب . والتجديد المستمر فى أساليب النصح والتوجيه.كما يدعوه إلى الشعور بأن الخطابة ليست مجرد كلمات جوفاء يلقيها على جمهوره وينتظر منهم الإقبال عليه والترحيب به .

والخطباء الهاربون من واقع مشاهد يعيشه الناس,ويفجر فى أذهانهم كثيراً من الأسئلة والمناقشات، التى تبحث عن أجوبة مقنعة. حتى تصل إلى الإطمئنان من صراعها النفسى داخلياً وخارجياً .مثل هذا النوع من الخطباء . يديرون معاركهم الكلامية على صفحات الكتب . ولايحققون نصراً إلا فىأدمغتهم فقط. فهم إذاً فى وادٍ خاص بهم.

أما الناس فهم فى وادٍ اخر . مشغولين بقضاياهم الملحة[1]
وأسئلتهم ومناقشاتهم التى تصارع نفوسهم دون خطيب يخاطب أحاسيسهم . وعقولهم حتى تشف صدورهم.
فالخطيب البارع يمتزج بواقع الناس بتجديد وابتكار، ثم يخاطب فيهم العقل مقنعا . والعاطفة مستميلاً . وهذا المزج بين العقل والعاطفة . أكثر جدوى وأبعد فائدة من مخاطبة العقل وحده .أو إلهاب العواطف وحدها . وهذا الخطيب يقدم للناس الجديد دائماً . ومن ثم يكون كل إنسان منهم أسيراً لأسلوبه. وهو بأسلوبه المقنع المستميل، يقود الناس إلى واحة راضية، يستشعرون فيها الأمن والأمان.لأنه يبدو أمام الناس دائماً جديداً مبتكراً . يقدم لهم الغذاء المناسب . وبالوسيلة المناسبة . فإذا بالناس أمام مائدة حافلة بأطيب الطعام . لا تملها أبدا

٩- البعد عن القضايا الخلافية :-

إن المنبر أى منبر للخطابة . يجب أن يوجه لهدايه الناس نحو هدف معين .أو مبدأ ما . وتعميق الإيمان والتقوى فى نفوسهم،وتنمية روح العمل. - أى عمل - والإخلاص فيه،وبالتالى يكون من الضرورى جدا بُعْدُ الخطبة والخطيب عن القضايا الخلافية. ولكن بعض الخطباء لا سيما المسلمين . يصرون على نقل خلافاتهم الحزبية . والفكرية،والفقهية . والشخصية أحيانا . إلى المنابر ليشغلوا الجماهير المسلمة بقضايا هامشية . أو شكلية أو اجتهادية أو شخصية،وليزرعوا فىّ نفوسهم الإحباط واليأس من الواقع الإسلامى المتدهور، بسبب خلافات المسلمين . وقد يكون لهذا الخطيب أو ذاك موقف معين من بعض القضايا الخلافية،فيحاول فرضه على جمهوره.

---

(١) الخطابة د. محمود عمارة صـ٢٠٤

ويقوم بالتقليل من قيمة الرأى المقابل . وقد يجرح أصحابه . دون أن يترك للجمهور فرصة ليتخذ موقفه من هذا الأمر على ضوء حجج شرعية ومنطقية مقنعة.

وبعد ذلك ماذا ينتظر من الجمهور المسلم غير الإحباط واليأس عندما يرى الخطباء والدعاة الذين يحتلون موقع القدوة الأولى فى الصف الإسلامى.

وهم مشغولون بخلافات مؤسفة يعالجونها بالإتهام والتجريح؟!!

إذاً من الضرورى جداً أن تكون الخطبة بعيدة عن القضايا التى اختلف فيها الفقهاء. مثل :- شهادات الاستثمار واللحوم المستوردة ..... إلخ.

والحديث عن مثل هذه القضايا يكون فىالدروس والمحاضرات والندوات.....إلخ.

لأن ترجيح رأى على رأى فى الخطبة قد يثير جدلاً شديداً لا خير فيه ولافائدة من ورائه . وقد يصل الأمر بقسم المستمعين إلى التشاجر والمقاطعة.

وما أحوج المسلمين فى هذا العصر. وكل عصر. ومصر. إلى جمع الشتات. ورأب الصدع. والتجمع على كلمة واحدة.

إن مجال القول فى الشريعة الإسلامية التى هى محل اتفاق بين علمائنا. واسع جداً. فنبتعد عن القضايا الخلافية التى توغر الصدور. ويكون شرها أكثر من خيرها. وضررها أكبر من نفعها.

إن أكبر عمل. وأعظم فائدة. يستطيع أن يقوم بها الخطيب : هى صيانة الجبهة الداخلية من التفكك والتصدع.

وما كان الرسول ﷺ . يخشى على أمته من شئ. خشيته أن يدب الشقاق بين المسلمين. فيكون بأسهم بينهم شديد.

١٠- تحديد وقت الخطبة :-

على الخطيب أن يحدد وقتاً مناسباً فى خطبته. لاهو بالطويل الممل. ولا بالقصير المخل. وذلك لأن طول الخطبة يبعث على السأم والملل والضجر.

وقصر الخطبة يفوت فائدتها.

والمفروض فىالخطيب أنه رجل حكيم. يضع كل شئ فى موضعه المناسب. فهو الذى يحدد وقت الخطبة. مراعياً فى خطبته ما يقتضيها من إيجاز أو إطناب،إذ لكل مقام مقال.

فبعض الموضوعات يستدعى الإيجاز. وبعضها يستدعى الإطناب على ألا يكون الإيجاز مخلاً. ولا الإطناب مملاً.

وحال السامعين. وظروفهم. هى التى تستلزم من الخطيب أحد المنهجيْن.

ولقد أنشد المبرد فى وصف خطيب بارع. فقال:-

طبيب بداء فنون الكلا .:. م لم يع يوماً ولم يهذر[١]

فإن هو أطنب فى خطبته .:. قضى للمطيل على المنزر

وإن هو أوجز فى خطبته .:. قضى للمقل على المكثر[٢]

أ- لأن الخطب تختلف طولاً وقصراً بحسب مقاماتها.

فالخطبة التى تقال لإطفاء ثورة عارمة. أو شغب مدمر تكون قصيرة مقتصرة على أهم أهدافها.

(١) يعى يعجز. يهذر: يخلط

(٢) الدعوة والخطابة صـ٥٢

وتستعمل مع ذلك الأسلوب القوى. وتجمع بين الترهيب والترغيب تهدد المتمردين وترهبهم. وتبشر الطائعين وترغبهم.كما هو أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ونجد مثل هذه الخطبة التى تجمع بين هذه الخصائص فى موقف أبى جعفر المنصور من أبى مسلم الخراسانى.

فقد كان المنصور داهياً أريباً مصيباً فى رأيه سديداً مقدماً فى علم الكلام ومكثراً من كتاب الآثار[١] ولكلامه كتاب يدور فى أيدى العارفين الوراقين. معروف عندهم.

ولما هَمّ بقتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فَأَرِقَ فى ذلك ليلته. فلما أصبح. دعا إسحق بن مسلم العقيلى فقال له : حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بحران[٢]

قال : أخبرنى أبى عن الحصين بن المنذر[٣] :-

أن ملكا من ملوك فارس يقال له : سابور الأكبر. كان له وزير ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك. وَشَابَ ذلك بفهم فى الدين. فوجهه سابور داعية إلى خرسان,وكانوا قوماً عجماً.يعظمون الدنيا جهالة بالدين,ويخلون بالدين استكانة لفوت الدنيا. وذلاً لجبابرتهم.

---

(١) أى كتابة الآثار.

(٢) حران مدينة من جزيرة اقور بينها وبين الرها يوم,وبينها وبين الرقة. يومان.

(٣) هو الحصين بن المنذر بن الحارث بن زعلة الرقاشى. فارس شاعر وكان معه راية عَلِيّ يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة,وفيه يقول عَلِيّ :-

لمن راية سوداء يخفق ظلها .:. إذا قيل تقدمها حصين تقدما

وكان حصين من كبار التابعين مات على رأس المائة-راجع الجاحظ جـ٢،صـ١٦٩

فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا[١] واغتر بقتل ملوكهم لهم وتخولهم إياهم[٢] .

وكان يقال لكل ضعيف صولة. ولكل ذليل دولة. فلما تلاحمت أعضاء الأمور التى لفح. استحالت حرباً عواناً[٣] سالت أسافلها بأعاليها. فانتقل العز إلى أرذلهم[٤]. والنباهة إلى أخملهم. فأشربوا له حبا مع خفض من الدنيا. افتتح بدعوة من الدين. فلما استوثقت له البلاد[٥]. بلغ سابور أمرهم. وما أحال عليه من طاعتهم. ولم يأمن زوال القلوب. وغدرات الوزراء فاحتال فى قطع رجائه عن قلوبهم. وكان يقال:-

وما قطع الرجاء بمثل يأس .:. تبادهه القلوب على اغترار[٦]

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خرسان وفرسانه. فقتله. فبغتهم بحدث.

فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم فوقف بهم بين الغربة ونأى الرجعة. وتخطف الأعداء . وتفرق الجماعة. واليأس من صاحبهم. فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور. ويتعوضوه من الفرقة فأذعنوا له بالملك والطاعة .

---

(١) يكيد هنا بمعنى يعالج كاد الأمر يكيده : عالجه.

(٢) التخول: أراد بهم اتخاذهم خولاً أى عبيداً أوخدماً وتخوله إياهم.

(٣) العوان: التى حررب فيها مرة بعد مرّة وأصل العوان: الثيب من النساء.

(٤) أرذلهم: أى أضعفهم وأحقرهم.

(٥) استوسقت: اجتمعت وفىحديث النجاشى واستوسق عليه أمر الحبشة اجتمعوا على طاعته.استوسعت-تحريف

(٦) المبادهة: المفاجأة والمباغته.

وتبادروه بمواضع النصحية . فملكهم حتى مات حتف أنفـه .

فأطرق المنصور ملياً. ثم رفع رأسه وهو يقول:-

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا

وما علم الإنسان إلا ليعلما[١]

وأمر المنصور إسحق بالخروج. ودعا بأبى مسلم فلما نظر إليه داخلاً. قال:-

قد اكتنفتك خلات ثلاث .:. جلبن عليك محذور الخمام.

خلافك وامتنانك ترتمينى .:. وقودك للجماهير العظام.

ثم وثب إليه. ووثب معه بعض حشمة بالسيوف. فلما رآهم. وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه[٢] منها,ثم قال:-

إشرب بكأس كنت تسقى بها .:. أمرّ فى الحلق من العلقم[٣]

زعمت أن الدين لا يقتضى .:. كذبت فاستوف أبا مجرم.

ثم أمر المنصور فحز رأسه. وبعث به إلى أهل خراسان. وهم ببابه فجالوا حوله ساعة. ثم رد عن شغبهم انقطاعهم عن بلادهم. وإحاطة الأعداء بهم. فذلوا. وسلموا له. فكان إسحق إذا رأى المنصور قال:-

وما ضربوا لك الأمثال إلا .:. لتحذوا إن حذوت على مثال. [٤]

---

(١) ذو الحلم هو عمرو بن حمحمه الدوسى. قضى فى العرب ثلاثمائة سنة كما زعموا فكبر فألزموه السابع من والده فكان معه. وكان الشيخ إذا غفل. كانت آية ما بينه وبينه أن تقرع له العصا. حتى يعاوده عقله. وقيل: ذو الحلم: عامر بن الظرب العدوانى. أو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام. أو ربيعه بن قماش الملقب أيضاً بذى الأعواد. او سعد بن مالك- راجع الجاحظ جـ٣ ، صـ١٦٩

(٢) طوحه: اهلكه أو توهه فرمى بنفسه هنا وهناك. أو طرده منه.

(٣) العلقم: شجر الحنظل أو ثمرته. أو شحمة ثمرته.

وكان المنصور إذا رآه قال:

وخلفها سابور للناس يقتدى.:.بأمثالها فى المعضلات [١] العظائم[٢]

وكان أبو مسلم الخراسانى قائدا ورئيس فرقة كبيرة وهو من مقوضى العرش الأموى. ولما خافه أبو جعفر المنصور قتله. ولكى يهدئ من أنصاره الثائرين الغاضبين لقتله خطبهم المنصور خطبة قال فيها:-

أيها الناس .. لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية. ولا تبطنوا غش الأئمة فإنه ما أضمر أحد لإمامه سوءاً إلا أظهره الله عليه. لإظهار دينه وإعلاء كلمته. إنه من نازعنا عروة هذا القميص جعلناه جزراً لخبى هذا الغمد [٣]

وإن أبا مسلم قد بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من غدر بنا. فقد أهدر دمه ثم غدر بنا فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على النَاس لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه [٤]

فهذه الخطبة موجزة حتى لا تفتح مجالا للمناقشة,وقائمة على المنطق والإقناع.فقد جعل نفسه القائم على الدين. وأن من خرج عليه استحق أن يقتل لخيانته خليفة يقوم على دين الله. وأن الله أطلعه على ما دبر له. لأنه مُوالٍ لربه,وأردف ذلك بتهديد سامعيه. أن من يخرج عليه فسيقتل بلا هوادة – من نازعنا عروة هذا القميص – أى من

---

(١) المعضلات: الدواهى. واحدها معضل كمحسن.

(٢) البيا والتبيين جـ٣ صـ٣٦٧، ٣٧٠

(٣) جعلنا جزراً. أقوى من قوله قطعنا رأسه مثلاً. لأنها تذكر بذبح الجزار للماشية فى سرعة وفى غير مبالاة. بل فى مسرة وانتظار للنفع – وخبى هذا الغمد – كناية عن السيف. فيها كثير من التهويل.

(٤) تاريخ الطبرى جـ٩ صـ٣١٣

بادرنا بأدنى شغب – جعلناه جزرا لخبى هذا الغمد – يعنى تمزيقه بالسيف وذبحه.

ثم ألبس عمله ثوب العدالة التى لا تحابى أحداً مهما كانت قرابته فهناك عهد أخذه أبو مسلم على الرعية كلها. وهو واحد منها. وقد أخل بهذا العهد. مع أنه من أولياء الخليفة. لكن رعاية حقه إنما هى للصداقة الشخصية أما إقامة الحد عليه بقتله. فهى رعاية لحق الله. وحق الله مقدم على حق الصداقة. فأخذ على القوم اقطارهم بهذا المنطق. ثم رمى بينهم برأس أبى مسلم مع بدر الذهب. فتهافتوا على جمع الذهب. ثم انصرفوا. يقولون: بعنا قائدنا وعدنا بثمنه [١]

وهذا الإيجاز الذى استخدمه المنصور فى خطبته أنسب فى هذا المقام وأقرب للبلاغة وأعلق بالذهن وأنفذ إلى الهدف المنشود من الخطبة.

ب- أما الخطب التى تتعرض لشرح منهج إصلاحى أو لشرح مبادئ قانونية فإنها تطول وتمتد حسبما يقتضى الأمر. وهذا كثيراً ما تجده فى الخطب البرلمانية.

وكذلك الأمر فى خطب المحامين لأنها قد تتعرض لدفع تهم متعددة وإقامة براهين عديدة أيضا فيدعوا ذلك لإطالتها [٢]

وإذا أسهب الخطيب وأطال فى غير ضرورة تثائب السامعون وملّوا وتسللوا أفرادا وجماعات حتى يبقى الخطيب وحده دون سامعين.

روى الجاحظ أن ابن السماك خطب يوما وجارية له تسمعه فلما انصرف إليها. قال لها: كيف سمعت كلامى؟ قالت: ما أحسنه. لولا

---

(١) الخطابة: د. عبد الجليل شلبى صـ٢٨

(٢) السابق

أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد ملّه من فهمه. (١)

وكثير من الخطباء يظن أن الإطالة فى الخطبة شئ مستحسن فيطيل دون أن يستحق الموضوع المتحدث فيه إطالة مما يورث الناس الملل والضجر،وتزداد خطورة الإطالة على الجمهور حينما يطرق الخطيب موضوعا علميا أو فلسفيا يحتاج إلى تركيز أكبر،أو عندما يطوف الخطيب بمستمعيه فى موضوعات كثيرة أثناء خطبته.

ولعل بعض الخطباء يندفع إلى الإطالة بدافع طيب إذ يّحاول بإطالته هذه اغتنام الخطبة. لتثقيف المسلمين بأمور دينهم ودنياهم.

ولكن هؤلاء الخطباء يجب أن يعلموا: أن الإطالة قد تفسد على المستمع تفاعله مع الخطبة والخطيب. بل قد تضر بالدعوة والداعية. أكثر مما تنفع.

ولهذا يلزم التنبيه إليها والتحذير منها. ومن افاتها. لأن الرغبة فى الإطالة غالبا ما تنشأ من:-

أ- إعجاب الخطيب بنفسه وتصوره أن علمه جديد على الناس خصوصا إذا لاحظ من بعضهم استحسانا وثناءً وهذا شئ من الغرور.

ب- حب الشهرة والمحمدة. والانشغال بالنفس. وهذا شئ من الرياء والشرك الخفى.

جـ- الغفلة والنسيان. وعدم تقدير مصلحة الآخرين. وهذا شئ من عدم المبالاة (٢).

---

(١) البان والتبيين جـ١ صـ١٠٤

(٢) كيف ندعو الناس صـ٤١

إن الخطيب - وخاصة المسلم - يجب عليه أن يقتدى بالقرآن الكريم. فإنه يذكر القصة فى آية أو فى بضع آيات.

وقد يذكر القصة نفسها فى بضع صفحات مثل قصة موسى عليه السلام. وقد يكتفى القرآن الكريم بإشارة عابرة تحدث فى النفس ما لا يحدثه الإسهاب والتطويل. مثل قوله تعالى فى وصف غرق فرعون وقومه "فغشيهم من اليم ما غشيهم" (١). فإنه لم يحدثنا عن الأهوال التى قاسوها. وإنما ترك لخيالنا أن يتصور - ما غشيهم- ومثل قوله تعالى فى وصف أهوال يوم القيامة:-

"إن زلزلة الساعة شئ عظيم" (٢). فوصف الزلزلة بأنها شئ عظيم بالإبهام والتنكير والتنوين. كأنها فوق الوصف والتحديد.

وقد يحذف الوصف ويترك للخيال أن يبالغ فى التصور مثل قوله تعالى:- "الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة" (٣) ولم يذكر ما هى الحاقة لأنها فوق مجال الوصف والإدراك.

ويجب على الخطيب أيضًا أن يعرف أن المستمع إذا عرف شيئا قليلا معرفة تامة خير له من أن يعرف أشياء كثيرة معرفة سطحية. ثم إن الطاقة الذهنية محدودة ولا يمكن للسامع - غالباً - أن يتابع بانتباه لأكثر من ربع الساعة تقريباً. وبعده يصيبه الإعياء أو الشرود ويتمنى أن يستريح حتى يجد مشوقا آخر.

والكلام فى المجال الدينى معروف للمسلمين. ففى كل موضوع دينى جاءت آيات وأحاديث معينة يعرفها المسلمون أو سمعوها كثيراً.

---

(١) سورة طه آية ٧٨

(٢) سورة الحج آية ١

(٣) سورة الحاقة آية ١ - ٣

فعلى الخطيب أن يحاول التجديد والتجدد فإن لم يستطيع فعليه بالاجتهاد والاختصار.

كما على الخطيب أن يحدد الوقت والموضوع من قبل بدء الخطبة ويحترم ذلك بكل دقة.

كما أنه يستطيع أن يدرك من عيون السامعين وهيئاتهم مدى رغبتهم في الاستماع له. أو الانصراف عنه.

يقول ابن مسعود ﷺ :-

- حدّث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة فأمسك -

وقال بعض الحكماء: من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك [١].

وإذا سلك الخطيب هذا السبيل الحكيم. وهذا المقياس الدقيق. فقد نجح في مهمته نجاحا جيدا لا تضره معه انتقادات منتقد. ما دام قد انتهج هذا النهج القويم.

وإذا جئنا إلى التراث العربى والإسلامى. وجدنا للحكماء والخطباء السابقين من ذوى العلم والدراية بوقع الكلام ومواقعه. ما لا يستغنى عنه الخطيب المعاصر.

وإذا استعرضنا أقوالهم وآراءهم بوجه عام نجد أنهم أكثر ميلا إلى الإيجاز ما لم يكن ثم سبب خاص يستدعى طولاً.

وقد قال عبد الله بن المقفع:- الإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين

---

(١) حذا الشئ بالشئ قدره

السماطين [١] وفى إصلاح ذات البين. فالإكثار فى غير خطل. [٢] والإطالة فى غير إملال. وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك. فقيل له: فإن ملّ المستمع الإطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف قال: إذا أعطيت كل مقام حقه. وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام. وأرضيت من يعرف حقوق الكلام. فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو. فإنه لا يضيرهما شئ. وأما الجاهل فلست منه وليس منك. ورضى جميع الناس شئ لا تناله. وقد كان يقال: رضى الناس شئ لا ينال [٣]

وقال شبيب بن شيبة:- إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة. فقدم أحكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم فى أحكام البلوغ فى شرف التجويد. وإياك أن تعدل بالسلامة شئا فإن قليلا كافيا. خير من كثير غير شاف [٤]

وقيل لعمروٍ بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك.

قال السائل: ليس هذا أريد. قال: من لم يحسن أن يسكت. لم يحسن أن يستمع. ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول.

قال: ليس هذا أريد. قال: قال النبى ﷺ : إن معشر الأنبياء بكّاء. أى قليلوا الكلام.

ومنه قيل: رجل بكى.

---

(١) السماطان: هما الجانبان. يقال مشى بين السماطين اى الجانبين.

(٢) الخطل هو المنطق الفاسد وأخطل فى كلامه إذا أفحش.

(٣) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٥

(٤) السابق جـ١ صـ١١٢

وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله.

قال السائل: ليس هذا أريد. قال: كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام. ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت.

قال السائل: ليس هذا أريد.

قال عمرو: فكأنك إنما تريد تحبير اللفظ فى حسن الإفهام قال نعم. قال: إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين. وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الأذهان. رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة. كنت قد أوتيت فصل الخطاب. واستوجبت على الله جزيل الثواب (١).

وهذه الاراء لفطاحل البلغاء والفصحاء: ابن المقفع. وشبيب بن شيبة. وعمرو بن عبيد. كلها قريب بعضها من بعض وهى فى جملتها لا تخرج عن نطاق القواعد والأصول التى ينبغى على الخطيب أن يسلكها مع الجمهور إيجازا أو إطنابا. طولا أو قصرا.

ومن الخير أن نسوق هنا مثالا لخطبة من خطب النبى ﷺ أطنب فيها بتكرار بعض العبارات لأهميتها. ومع ذلك أوجز فى المقال فأصاب الهدف وبلغ الغاية المرجوّة من الخطبة.

ومناسبة الخطبة: أن النبى ﷺ وزع الغنائم الكثيرة بعد غزوة حنين ولم يعط الأنصار منها شيئاً. وأعطى بعض الزعماء الذين

---

(١) السابق جـ١ صـ١١٤

اعتنقوا الإسلام حديثا فأجزل عطاءهم ليتألف قلوبهم فتحدث بعض الأنصار في ذلك.

قال ابن هشام .... عن أبى سعيد الخدرى قال:-

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منها شئ وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة [١] حتى قال قائلهم:-

لقد لقى - والله - رسول الله ﷺ قومه.

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله : إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم. لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصبت. قسمت فى قومك. وأعطيت عطايا عظام فى قبائل العرب. ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شئ.

قال: فأين أنت من قومك يا سعد؟!

قال: يا رسول الله. ما أنا إلا من قومى؟!

قال: فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة!! [٢]

فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم.

فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ : فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:-

---

(١) القالة: الكلام الردئ

(٢) الحظيرة: شبه الزريبة التى تصنع للإبل والماشية لتمنعها وتكف عنها العوادى

يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتنى عنكم. وجدة [١] وجدتموها علىّ فى أنفسكم؟! ألم آتكم ضلالا فهداكم الله. وعالة [٢] فأغناكم الله. وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!!! قالوا: بلى. الله ورسوله أمن[٣] وأفضل. ثم قال: ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟! قال: لله ولرسوله الفضل والمن.

قال رسول الله ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك. ومخذولاً [٤] فنصرناك. وطريداً فآويناك. وعائلاً فآسيناك[٥]. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فىّ لعاعة[٦] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا. ووكلتكم إلى إسلامكم. ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير. وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟! والذى نفس محمد بيده: لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعباً[٧]. لسلكت شعب الأنصار!!! اللهم ارحم الأنصار. وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم[٨] وقالوا: رضينا برسول

---

(١) العتاب

(٢) جمع عائل وهو الفقير

(٣) من المنة وهى النعمة

(٤) المخذول: المتروك

(٥) أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا

(٦) بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها

(٦) الطريق بين جبلين

(٧) بلّوها بالدموع

الله قسما وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا [١].

١١- الحكمة فى الخطبة:-

وهى أن يتمكن الخطيب من تطبيق العناصر العشرة السابقة وذلك بأن يتحرى الخطيب الطريقة المناسبة التى يسدى نصحه وإرشاده من خلالها مراعيا ظروف الناس وأحوالهم فإن لكل مقام مقالاً. وعليه أن يقدمها بصورة جميلة مشرقة لا تعنيف فيها ولا تجريح. ولذلك يجب على الخطيب أن يحترم عقول مستمعيه وأن يبنى أفكاره ومعانيه واستنتاجاته على أسس منطقية مقنعة. وألا يفرض اراءه ومواقفه على جمهوره دون أن يقدم المبررات الشرعية والمنطقية له. فعندما يحارب الخطيب ظاهرة ما. يجب ألا يلجأ إلى السباب والشتائم فى معالجة هذه الظاهرة وأن يتجنب شحن الجمهور عاطفيا ضدها دون أن يقنعهم بها بشكل منطقى واضح نزيه. فالعواطف عامل متغير يتأثر بالظروف المحيطة أما الإقناع المنطقى فهو عامل ثابت يستمد ثباته من الحقائق التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان. والإنسان يحب بطبعه أن يتخذ موقفه بنفسه. ويكرد أن يفرض عليه أحد الموقف الذى يريده.

وقد دعانا القرآن الكريم إلى أن نقول للناس حسناً.

وهذا أحد الوعاظ يدخل على هارون الرشيد ويغلظ له القول فيرد عليه الرشيد قائلا: ما هكذا تكون الموعظة. إن الله تعالى بعث موسى الذى هو خير منك،إلى فرعون الذى هو أشر منى.فقال له ولأخيه - فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى [٢] -

وينبغى أن تكون سيرة النبى ﷺ وخطبه خير منهج للخطباء فى كل زمان ومكان.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ٩٥

(٢) سورة طه، آية ٤٤

المبحث الثالث

أهمية الخطابة ومكانتها

إن الإنسان إذا عرف أهمية شئ ومكانته فى الحياة. سعى إليه بكل طاقته وجهده ليتحصل عليه وينال شرفه وفضله.

والخطابة من أهم الأشياء فى حياة الإنسان:-

- بحكم الاجتماع الإنسانى الذى هو غريزة وفطرة فى الإنسان الذى لا يمكن أن يعيش وحده. دون أن يأنس بإنسان مثله.

- وبحكم اختلاف النظرة أو مقياس الخير والشر. أو الفضيلة والرذيلة من فرد لآخر.

قال تعالى:-

"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك. لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" (١)

وهذا الاختلاف أو الخلاف فى مقاييس الخير والشر. أو الفضيلة والرذيلة. وجد منذ قديم الزمان.

وقد يكون هذا الاختلاف على أمر مادى أو معنوى. أى:-

١- حول فكرة أو رأى.

٢- أو على مال أو متاع دنيوى.

٣- أو من أجل الحصول على منصب أو جاه.

ومن مضاعفات الاختلاف حول هذه الأمور وأمثالها:-.

---

(١) سورة هود آية: ١١٨ - ١١٩

محاولة الإنسان إقناع غيره واستمالته. بالأدلة العقلية المنطقية والأدلة العاطفية والوجدانية.

وهنا تأخذ الخطابة دورها القيادى. حين يأخذ الفرد موقعه فى المعارك الدائرة: مهاجما. أو مدافعاً. عن طريق الخطابة التى عرفها الناس من قديم الزمان - منذ أن اجتمعوا فى مكان واحد استوطنوه. وتفاهموا بلسان واحد.

لأنه من الطبيعى أن يختلفوا فى رأى أو عقيدة.

ومن الطبيعى أن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو سلطة. فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفون. وأن يقنعهم. فإذا ما أقنعهم واستمالهم فهو خطيب. وقوله خطبه.

ثم إنه من الطبيعى أيضاً: أن تنشب أمور تستدعى تعاون المجتمع. وتضافر قواه على اجتلاب نفع عام مشترك. أو اتقاء ضرر. فيتصدر بعض النابهين من هذا المجتمع لقيادة المجتمع وزعامته. وعدتهم فى ذلك: خطابتهم.

على أن الناس فى حياتهم القديمة تسلحوا بأسلحة مادية لدفع العدوان. وتسلحوا أيضا بسلاح معنوى هو: اللسان. وما زالت الخطابة إلى الآن - وستظل - سلاحا مرهفا. تتصاول به الأمم. وإن جيشت جيوشها. وافتنّتْ فى اختراع القذائف. والمدمرات. لذلك لم يخل من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها. (١)

أيا كان مستوى هذه الأمة. وأفرادها: العلمى أو الثقافى. وذلك لأنه:-

- كل واحد من الناس يوجد مستعملا لنحو من أنحاء البلاغة. ومنتهيا منها إلى مقدار. وذلك حق.

---

(١) فن الخطابة: الحوفى صـ٤٢

فالتاجر ينادى لسلعته بشئ من البيان بلغتـه يستعمل فيه كل وسائل الإغراء.

وكل ذى رغبة فى أمر. يجتهد فى استخدام عبارات خاصة يجتذب بها من يريد حمله إلى ما ينبغى ويريد.

ولو تسامحنا لسمينا ذلك النحو من الكلام خطابة.

وعلى أية حال. هو يدل على مقدار عموم الموضوعات الخطابية. وأنها ليست مقصورة على ناحية خاصة من النواحى[1]

إذاً: فالخطابة ضرورة من ضرورات الاجتماع البشرى. لأنها تعتبر لسان حال الجماعة. ترتقى برقى الجماعة وتتخلف بتخلفها.

ولا تستغنى أمة من الأمم. ولا جيل من الأجيال عن الخطابة التى هى بمنزلة اللسان من الجسد.

فلها المنزلة الأولى فى تربية النفوس على الطاعة والفضائل. أيام السلم.

- وتشجيع النفوس على القتال أيام الحرب. بما يبثه القواد الفصحاء فى نفوس الجند قبيل المعارك. فيتحمسون لقتال أعدائهم.

[فالخطابة قوة تثير حمية الجيوش وتدفعهم إلى لقاء الموت. وتزيد قواهم المعنوية. ولذلك كان قواد الجيوش المظفرين فى القديم. وفى العصور الحديث. خطباء مصاقع.

فبيركليس. ويوليوس قيصر. ونابليون: خطباء.

وعلى بن أبى طالب. وخالد بن الوليد. وطارق بن زياد: خطباء مصاقع.

---

(١) الخطابة للشيخ أبى زهرة ص ٣١ .

حملوا معهم سلاحا معنويا بجوار السلاح الحديدى] [١]

- والخطابة هى أداة الدعوة إلى الرأى والعقيدة. سواء فى ذلك: الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وهى أداة الأحزاب فى إقناع واستمالة مؤيديهم. والرد والإفحام لخصومهم. والسير بأمتهم نحو حياة فاضلة. ومستقبل مأمول.

وهى أداة الوعاظ وخطباء المساجد والكنائس فى وعظهم وإرشادهم.

وهى زينة المحافل والمجتمعات والمؤتمرات.

فعليها الاعتماد بعد الله عز وجل فى كثير من شئون الحياة فى كل زمان ومكان.

---

(١) الخطابة: أبو زهرة صـ٢

أهمية الخطابة فى العصر الحديث

إن الخطابة هى الدعامة القوية التى قامت وتقوم عليها كافة الإصلاحات العظيمة. والثورات الكبيرة التى تهدف إلى تحقيق الخير والرفاهية لمجتمعها.

[فهى فى العصر الحديث عدة الزعماء والساسة تستند إليها الديمقراطية(١) وتعتمد عليها الديكتاتورية(٢) ويتسلح بها المؤتمرون فى المجامع الدولية. ويصعد عليها النواب إلى قمة الشهرة. وذيوع الأحدوثة. ويرتقى بها المحامون إلى الصيت الطائر. والثراء الغامر.] (٣)

ويصل بها المصلحون إلى تحقيق إصلاحاتهم التى تسعد الفرد والجماعة فى العاجل والآجل.

[فما أجدرنا – كدعاة ومصلحين مسلمين – أن نقوم بها. وأن نعد لها رجالاً قادرين على أدائها. وأن نخلص النية لله تعالى. ونقصد نشر الخير لأمتنا الإسلامية. وللإنسانية كلها.

لقد تغير الزمان. ويبدو أنه أثر فى نفسية الناس. فبعدوا عن تعاليم الدين. لدرجة أن أعمالهم وسلوكهم غريبة كل الغرابة عن العهد الناصع للإسلام] (٤)

---

(١) الأفضل التعبير: بالشورى بدلاً من الديمقراطية لأن الديمقراطية تعنى حكم الشعب بالشعب أما الشورى إسلاميا: حكم الشعب بمنهج الله والرسول ﷺ.

(٢) الاستبداد بالرأى وعدم الاعتراف بغيره. بل محاولة كبت الرأى الآخر.

(٣) الخطابة: الحوفى صـ٦

(٤) محاضرات فى علم الخطابة: د. محمد شامة وآخرون صـ١٦

لذا: أصبحت الخطابة فى هذا العصر ضرورة اجتماعية. وفريضة شرعية لتصحيح المفاهيم. وتخليص الدين. وتطهير النفوس. وتنبيه العقول. حتى ترجع عن غيها إلى رشدها وعن ضلالها إلى الهداية. وعن التطرف إلى الاعتدال والوسطية. وتتحلى بالفضائل فى كل أمورها الدينية والحياتية.

[فلا عجب أن أقام – سنيكا – من البلاغة – والخطابة بلاغة – إلها مجهولا فى صدر البليغ.

وجعلها – كانتيليان – الواسطة للحصول على الحقيقة.

ووضعها – كنار – فى القلب والتصور.

ومثلها – الأقدمون – بإله يتكلم – فتنتظم من فمه سلاسل من ذهب تربط السامعين[١]

ولا عجب أن قال النبى ﷺ

((إن من البيان لسحراً))!!![٢]

---

(١) فن الخطابة: الحوفى صـ٧

(٢) صحيح البخارى: كتاب الطب. باب إن من البيان لسحراً جـ١. صـ٣٧٠

أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

إن الخطابة كانت ولا تزال - من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى باللسان. ولا نتجاوز الحقيقة كثيرا: إن قلنا:- إن الخطابة هى أهم وسائل الدعوة الإسلامية[١]

أ- ففى بداية الدعوة كان للخطابة الدور الرئيسى فى التبليغ.

حيث امتثل النبى ﷺ لأمر ربه له بالدعوة جهراً - "يا أيها المدثر قم فأنذر"[٢]

---

(١)إن الخطابة هى أهم وسيلة من وسائل الدعوة. أى أن الدعوة أعم من الخطابة. لأنها تكون بالخطابة وبغيرها من الوسائل.

والداعية أعم من الخطيب. لأن الخطيب خطيب وكفى. أما الداعية فهو الداعية مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة والحديث العادى والعمل الجدى فى سيرته الخاصة والعامة. وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية.

فهو كاتب وخطيب ومتحدث وقدوة يؤثر فى الناس بعمله وشخصه.

والداعية أيضا طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة.

فهو ناقد بصير. يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله تعالى.

ومن هذه الصفات تشيع المحبة فى قلبه وتتدفق الرحمة فى عينيه وتجرى المواساة على لسانه ويديه.

وهذا ضرورى جداً للداعية وهو من مواهب الروح والحنان لا من صفات البلاغة وملكات اللسان.

والداعية قائد فى محيطه وسياسى فى بيئته وزعيم لفكرته ولمن يتبعه فى ناحيته.

وكل هذا: لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه فلابد له من التأثير النفسانى والهيمنة الروحية والاتصال بالله تعالى واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ وأحوال الناس

تذكرة الدعاة: البهى الخولى صـ٦

(٢) سورة المدثر، آية ٢،١

"وأنذر عشيرتك الأقربين[١] فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين[٢].

لما نزلت هذه الآيات: جعل النبى ﷺ الخطابة هى سلاحه فى التبليغ.

روى الترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية:-

وأنذر عشيرتك الأقربين:-

جمع رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص. فقال:-

يا معشر قريش:

أنقذوا أنفسكم من النار. فإنى لا أملك لكم من الله ضراً. ولا نفعاً.

يا معشر عبد مناف:

أنقذوا أنفسكم من النار. فإنى لا أملك لكم من الله ضراً. ولا نفعاً.

يا معشر بنى قصى:

أنقذوا أنفسكم من النار. فإنى لا أملك لكم من الله ضراً. ولا نفعاً..

يا معشر بنى عبد المطلب:

أنقذوا أنفسكم من النار. فإنى لا أملك لكم من الله ضراً. ولا نفعاً.

يا فاطمة بنت محمد:

أنقذى نفسك من النار. فإنى لا أملك لك من الله ضراً. ولا نفعاً. إن لك رحماً. وسأبلُّها ببلالها. [٣]

---

(١) سورة الشعراء. آية ٢١٤

(٢) سورة الحجر. آية٩٤

(٣) إن لك رحماً: أى قرابة وسأبلها: أى سأصلها. ببلالها أى بصلتها وبالإحسان إليها من بله يبله. والبلال: الماء. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومن بلوا أرحامكم: أى صلوها. قاله النووى =

ب- وكذلك اتخذ النبى ﷺ الخطابة وسيلة للدعوة عند استقباله للوفود التى كانت تتوالى عليه معربة عن قبولها للإسلام ديناً.

ج- كما كانت الخطابة منهج النبى ﷺ فى توجيه قيادة الجيوش الإسلامية الذاهبة لنشر الإسلام فى كافة الأنحاء.

د- وكان النبى ﷺ يأمر من يراه أهلاً للخطابة. بأن يخطب بحضرته ﷺ

ويتضح هذا فى موقفه ﷺ من وفد بنى تميم حين دخل الوفد. إلى المسجد النبوى الشريف.

ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته: أن اخرج إلينا يامحمد.

فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم. فخرج إليهم.

فقالوا: يا محمد:

جئناك نفاخرك. فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم. فليقل.

فقام عطارد بن الحاجب فقال:

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن. وهو أهله. الذى جعلنا ملوكاً. ووهب لنا أموالا عظاماً. نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق. وأكثره عدداً وأيسره عدة. فمن مثلنا من الناس؟!!

ألسنا برؤوس الناس. وأولى فضلهم؟!!

= وقال فى النهاية:- البلال جمع البلل والعرب يطلقون النداة على الصلة. كما يطلق اليبس على القطيعة. لأنهم لما رأوا أن بعض الأشياء يتصل بالنداوة ويحصل بينها التجافى والتفريق باليبس: استعاروا البلل لمعنى الوصل. واليبس لمعنى القطيعة. والمعنى:- أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئاً

راجع تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ٩ صـ٤٢ كتاب التفسير باب سورة الشعراء

فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وإن لـو نشـاء لأكثرنـا الكـلام ولكنـا نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس.

كلمة ثابت فى الرد على عطارد:-

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بـن الشـماس أخـى بنـى الحـارس ابن الخزرج: قم فأجب الرجل خطبته. فقام ثابت فقال:

الحمد لله الذى السماوات والأرض خلقه قضـى فيهن أمره ووسـع كرسيه علمه ولم يك شئ قط إلا مـن فضلـه ثم كـان مـن قدرتـه أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً. أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خـيرة الله من العالمين.

ثم دعا النـاس إلـى الإيمـان بـه. فـآمن برسـول اللـه المهـاجرون مـن قومه. وذوى رحمه وأكرم الناس حسباً وأحسن الناس وجوهـاً وخـير الناس فعالاً ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعـاه رسـول الله ﷺ. نحن.

فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ﷺ نقـاتل النـاس حتـى يؤمنوابالله فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى اللـه أبداً وكان قتله علينا يسيراً.

أقول قولى هذا. واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات.

والسلام عليكم ورحمة الله[1]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ صـ١٤٧

هـ- ثم اتخذ الخلفاء الراشدون وأولوا أمر المسلمين من بعدهم فى كل زمان ومكان الخطابة وسيلة لنشر الإسلام وتثبيت دولته إما بأنفسهم مباشرة وإما بتكليفهم من يقوم بها على وجهها.

وذلك لاعتقادهم أن الخطابة فى الإسلام هى مظهر الحياة المتحركة فيه. الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثبت من فكر إلى فكر.

وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ومع المكان من قطر إلى قطر.

وذاك هو السر فى أن نبى الإسلام ﷺ. كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرا يخطب فى وفود الحجيج عند جبل الرحمة(١)

و- وما دامت الخطابة هى وسيلة من أهم وسائل نشر الإسلام منذ أول إعلان له على لسان النبى ﷺ. وحافظ عليها المسلمون عبر مختلف عصورهم حتى أتت ثمارها وانتشر بها الإسلام فى شتى أنحاء الكرة الأرضية.

إذا كان الأمر كذلك:-

فما على الأمة الإسلامية إلا أن تكلف من أبنائها من يتقن هذا الفن. ويتخصص فيه ويتفقه فى الدين حتى يستطيع هؤلاء المتخصصون أن يحافظوا على قاعدة [الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر] الذى هو القطب الأعظم فى الدين والمهمة التى ابتعث الله تعالى بها النبيين أجمعين.

ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة. وفشت الضلالة. وشاعت الجهالة. واستشرى

---

(١) مع الله: الشيخ محمد الغزالى صـ٢٠٧

الفساد. واتسع الخـرق. وخربـت البـلاد. وهلـك العبـاد. ولـم يشـعروا بالهلاك إلا يوم التناد....

فمن سعى فى تلافى هذه الفترة. وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرا فـى إحيائها.

كان مستأثراً من بين الخلق بإحيـاء سـنة أفضـى الزمـان إلـى إماتتهـا ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها[١]

وفـى تفسـير قولـه تعـالى:- "ولتكـن منكـم أمـة يدعـون إلـى الخـير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[٢]"

يقول الإمام محمد عبده:-

والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة فهم المكلفون أن ينتخبوا منهـم أمة تقوم بهذه الفريضة فههنا فريضتان:-

إحداهما على جميع المسـلمين. والثانيـة علـى الأمـة التـى يختارونهـا للدعوة....

والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمـل. هـو أن يكـون لكـل فـرد منهـم إرادة وعمـل فـى إيجادهـا وإسـعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافاً ارجعوها إلى الصواب[٣]

والوسيلة الأولى والأهم التى بها تغير هذه الأمة أو الفئة المنكـر هـى الخطابة.

---

(١) إحياء علوم الدين: حجة الإسلام الغزالى جـ٢١ صـ٣٠٢

(٢) سورة آل عمران. آية : ١٠٤

(٣) تفسير المنار جـ٤ صـ٣٠

ولأهمية الخطابة ومكانتها فى الدعوة الإسلامية جعلها الإسلام الحنيف شعيرة من أهم شعائره فى كافة المناسبات الدينية والدنيوية. دعما للحق. وهدما للباطل.

ومن اهم هذه المناسبات. مناسبات أسبوعية كالجمعة. وأخرى سنوية. كعرفة والعيدين. وثالثة: طارئة: كالكسوف والخسوف.

أ- ففى كل أسبوع يحتشد المسلمون فى المسجد الجامع ليسمعوا داعية إلى الله تعالى يذكر به ويعلم دينه.

ب- وفى كل عيد يجتمع الرجال والنساء فى الميادين الرحبة. أو فى المصليات المحيطة بالقرية ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد.

جـ- وفى كل موسم جامع للحجيج تلتقى وفود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف حول - عرفة - لتستمع إلى خطاب خطير يتناول شئونها ويشرح قضاياها ومبادئها. (١)

د- وفى الأمور الطارئة كالكسوف والخسوف والجدب: يجتمع المسلمون للصلاة والابتهال إلى الله تعالى ولسماع خطيب يذكرهم بنعم الله تعالى على الناس خاصة وسننه فى خلقه عامة.

فضل الخطابة وشرفها:-

إن فضل الخطابة عظيم وشرفها جسيم.

وفضل العلوم والصناعات وشرفها بشرف غاياتها وأهدافها. وللخطابة غاية ذات شأن خطير:- وهى إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم فى العاجل والآجل.

---

(١) مع الله: الشيخ الغزالى صـ٣٠٧

وفوائد الخطابة جمة. (١)

- فهى التى تعرف صاحبها كيف يمتلك القلوب ويستميل النفوس ويحرك العواطف ويهيج الخواطر نحو ما يريد.

- بنبراسها تستضيئ موارد الدليل. وتتضح مصادر الحجة لإنقاذ كل أمر جليل وإدراك كل غاية شريفة.

- وقوانينها ترشد الطالب إلى مواضع الضعف وشعب السهو والزلل فيقوى على دحض حُجج المُناظِر. وتزييف سفسطة المكابر.

- وهى التى تثير الحماسة فى النفوس الفاترة. وتهدئ النفوس الثائرة.

- وهى التى ترفع الحق وتخفض الباطل وتقيم العدل وتفض النزاع وتقطع الخصومات.

فالخطيب البارع يقف بين ذوى المنازع المختلفة والآراء المتضاربة فلا يزال يبين لهم النافع من الضار والصواب من الخطأ حتى يجعل الجميع فى قبضة يده.

والخطيب البارع يقوم بين طائفتين استعرت بينهما نار العداوة والبغضاء فيذكرهم بعواقب التقاطع ويحذرهم من نتائجه السيئة فإذا القلوب مؤتلفة. والنفوس متآخية.

إذا:

فالخطابة تنقل المستمع من موقف إلى آخر. ومن عقيدة إلى أخرى. باعثة فى السامع نزعة إلى العمل الإيجابى فيما كان يقف موقفا سلبيا. فغايتها الكبرى هى: تحويل الأفكار الذهنية الجامدة إلى

---

(١) راجع فن الخطابة: الشيخ على محفوظ صـ١٥

عواطف ينفعل بها السامع. ويتصرف بتأثيرها تصرفا لا قبل له به.
فيما يكون فى حالة اليقين العادى.

والواقع أن الأفكار التى تقطن الذهن مهما سمت وشرفت: تبقى دون تأثير على تصرف الإنسان.

إذا لم تنتقل من فكرة يعيها فى ذهنه بلامبالاة. إلى شعور راغم حى. يحوّل الفكرة الجامدة إلى عمل حاسم. [١]

أىّ الناس لا يدرك – بلامبالاة – أن الخير أفضل من الشر وأن الشرف أفضل من الذل وأن الحق أفضل من الباطل.؟!!

إلا أن تلك الفكرة تظل عاجزة عيية لا يتأثر بها تصرف الإنسان حتى تشتعل بالعاطفة والحماسة.

فلا يعود الإنسان مدركا أن الخير أفضل من الشر بل يتواقع لخدمة الخير حتى تصبح سعادته وتعاسته مرتبطتين به من دون سواه. ويصبح فى الآن ذاته قادرا على المجاهدة دونه والتضحية. بل الاستشهاد فى سبيله. فالشهيد لا يبلغ الشهادة بمعرفته الحق بل بالحماسة والإيثار والتقديس.

وهكذا فإن الخطيب يهدف تحويل الأفكار إلى عواطف متوسلا فى سبيل ذلك بوسائل متعددة على حد إجابة صحار بن عياش العبدى[٢] على معاوية بن أبى سفيان حين قال لصحار. ما هذه البلاغة التى فيكم؟! قال: شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا.... [٣]

---

(١) فن الخطابة صـ٨

(٢) هو صحار بن عياش. ويقال: ابن عباس بن شراحبيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس خطيب مفوه. كان من شيعة عثمان. له صحبة وأخبار حسنة وكان علامة نسابة. توفى نحو سنة ٤٠ هجرية.

(٣) البيان والتبيين جـ١ صـ٦٩

المبحث الرابع

أركان الخطبة

تتكون الخطبة الكاملة من أركان أو أجزاء يتبع بعضها بعضا ويرتكز كل واحد منها على سابقه.

ونحن نسميها أركاناً للخطبة جرياً على الغالب.

ولكنها فى الواقع ليست أركانا حتمية فى كل خطبة بحيث تكون الخطبة التى تخلو من جزء أو ركن منها مختلة ناقصة أو لا تستحق أن تسمى خطبة وإنما هو عمل فنى يراد به أمور.

أولها متعلق بالخطبة نفسها.

وهو جعل الخطبة أقرب إلى الدقة والكمال.

ثانيها: متعلق بالخطيب نفسه وهو: مساعدة الخطيب وإرشاده إلى ما يكمل به خطبته ويرفعها ويجعل السامعين أكثر استفادة منها.[1]

إذا: فهذا التقسيم ما هو إلا

(أ): تنظيم لأجزاء الخطبة.

(ب): إحكام تركيبها وربط بعضها ببعض.

(جـ): وضع أدلتها فى شكل منتج.

حتى تأخذ بعضها بحجز بعض. ويجعل الغرض منها واضحا إذ لا يذكر المعنى إلا بعد التمهيد له. فيكون قريباً مألوفا واضحاً مكشوفا وإذا أخذ به تمام الأخذ – مع التجنب لعيوبه والتحرى لمحاسنه – : ضمن للمتكلم حسن الإصغاء وكمال الانتباه[2]

---

(١) الخطابة: شلبى صـ٥١

(٢) الخطابة : أبو زهرة صـ٩٥

(د): التيسير على الخطيب فيتقن خطبته مقنعا ومستميلا.

(هـ): تمكين الجمهور من فهم الخطبة.

وعلى هذا يكون الغرض من الحديث عن أجزاء الخطبة أو تنسيقها أو أركانها هو خروجها كاملة أو قريبة من الكمال.

وهذه الأجزاء أو الأركان - التى سنذكرها - ليست ملزمة للخطيب. فقد يرى الخطيب أن الموقف لا يحتاج إلى بعض الأجزاء أو الأركان. فيستغنى عنه[١]

وإنما نذكرها: للاستئناس بها. ولأن الخطب فى أغلب الأحيان تشتمل عليها ويكون كمالها وتنسيقها فى تحقيق كل أجزائها.

تقسيم أرسطو:-

لقد كان أرسطو[٢] من أوائل من كتبوا فى هذا الموضوع فقسم الخطبة ثلاثة أجزاء هى:-

المقدمة أو الابتداء. والعرض أو التدليل. والنتيجة أو الخاتمة.

تقسيم غير أرسطو:-

وقسمها بعضهم خمسة أجزاء: المقدمة. والعرض. والتدليل. والتفنيد. ثم النتيجة.

وقصرها بعضهم على ثلاثة أجزاء فقط . وهى المقدمة . ثم العرض بأدلته وتفنيده . ثم الخاتمة أو النتيجة وسوف يكون حديثنا حول هذا التقسيم الأخير . لأنه أشمل وأوضح الثلاثة .

---

(١) كأن يكون الموضوع واضحاً للمستمع فلا يحتاج إلى دليل أو تفنيد فيستغنى الخطيب عن هذين الركنين أو الجزأين من الخطبة.

(٢) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٢٣

ملاحظات هامة للخطيب:-

قبل البدء فى الخطبة من أى ركن فيها: هناك أمورهامة يجب على الخطيب الالتزام بها.

(أ): لأنها مهمة وضرورية. (ب): كما أنها تعطى الخطيب فخامة وعظمة. (جـ): وتعطى الجمهور انطباعاً قيما مسبقاً عن الخطيب وخطبته.

ومن أهم هذه الأمور ما يلى:-

١- عدم العبث بأى شئ يتعلق بك. كمن يعبث بلحيته أو بملابسه أو جسده أو أعضائه لأن العبث بهذه الأشياء أو غيرها: يلفت عنك الانتباه. ويصرفك عن تركيزك. كما يمنحك انطباعاً عن الضعف. وقلة الثقة بالنفس.

٢- الوقفة الهادئة. ورباطة الجأش. فقف. وسيطر على نفسك وجسدك. فذلك يمنحك انطباعاً عن السيطرة الذهنية. والاتزان النفسى.

٣- لا تبدأ متعجلاً أو مندفعاً فهذه هى السمة المميزة للمبتدئ.

٤- تنشق نفساً عميقاً. يغذى دورتك الدموية بالأوكسجين الذى ينشط الذاكرة والتركيز.

٥- تطلع إلى جمهورك. تطلُع الواثق بنفسه. وبنصر الله له.

٦- إن كانت هناك ضجة. توقف حتى تزول.

٧- أبق صدرك عالياً مفتوحاً غير منكفئ أو منحنٍ.

ولكن !!!

لم الانتظار لفعل ذلك أمام جمهور.؟!!! لم لا تفعل ذلك يوميا مرارا حين تكون منفردا بذاتك؟!! عندئذ يمكنك أن تفعل ذلك تلقائيا أمام الناس.

أولا: المقدمة أو الابتداء

مقدمة الخطبة أو بدايتها هى: حديث يبدأ به الخطيب خطبته.
لشد انتباه السامعين نحوه وتهيئتهم للإقبال عليه والسماع لما سيقول لهم. وتمهيداً للفكرة التى يريدها[١]

أهمية المقدمة:-

المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة كل منها يمهد لما بعده ويُعِد السامعين لسماع الموضوع ويهيئهم للاقتناع بما يريد الخطيب أن يدلى به من آراء ومقترحات.
وكثيراً ما تتخذ المقدمة وسيلة لأن يسود الصمت بعد هرج حدث إثر خطبة سابقة أو جراء مناقشة فى موضوع الخطبة قبل سماع الرأى فيها. أو اضطراب لسبب من الأسباب.[٢]

دور المقدمة فى نجاح الخطبة أو فشلها

إن المقدمة لها دور كبير فى نجاح الخطبة والخطيب أو فى فشلهما. لأن المقدمة هى أول ما يطرق السمع من الكلام الذى يتوجه به الخطيب نحو الجمهور.
فإذا كانت المقدمة قوية فخمة جذابة: أصغى إليها الجمهور وتقبلها بقبول حسن.

---

(١) الخطابة: د. شلبى صـ٥٢
(٢) فن الخطابة: الحوفى صـ١٢٠

وتأهب لتلقى ما بعدها من موضوع الخطبة برضى تام عن الخطيب الذى أفصح عن نجاحه فى مقدمة خطبته.
وإن لم تكن المقدمة على المستوى الذى يرفع الخطبة والخطيب إلى ذرى المجد كانت نذير فشلهما وتفاهة أثرهما.

ضرورة المقدمة للخطبة أو الاستغناء عنها:

إن تقسيم الخطبة إلى أجزاء أو أركان لم يكن إلا عمل فنى ترتيبى.
وليس بلازم للخطيب أن يلتزم بهذا التقسيم. كما ذكرنا آنفاً.
فمن الممكن أن تكون الخطبة بدون مقدمة. وذلك حين يسبق الخطيب خطباء آخرون. خطبوا فى نفس الموضوع وهيئوا له الأذهان. فليس هناك ضرورة إلى مقدمة جديدة.
وهناك مواقف تضطر الخطيب إلى ذكر المقدمة لخطبته وذلك:-
حين يكون عند السامعين شعور عدائى للخطيب. أو تعصب ضد رأيه لأى سبب من الأسباب.
فقد يكون من غير حزب المستمعين.
أو لوشاية سوء ذاعت عنه.
أو لأنه حكم فظلم فى حكمه . من وجهة نظر الجمهور.
ففى هذه الحال يضطر الخطيب أن يقدم لخطبته مقدمة يحاول بها:-
أن يزيل الكره الموجود عند السامعين تجاهه أو يخفف حدته.
أو أن يدعو السامعين أن يكونوا محايدين لا يهمهم إلا الوقوف على الحق والنظر فيما يلقى من البراهين.
وكثير من الخطباء البارعين كسبوا خصومهم من هذه السبيل. فهم يدعون خصومهم أن يكون رائدهم الحق والمصلحة العامة. وأن يجردوا أنفسهم ولو لحظة من الحزبية والتعصب.

وألا ينظروا إلى القائل عدواً كان أو صديقاً بل يستمعوا إلى القول ويتبعوا أحسنه.

- ويضطر الخطيب أيضاً إلى المقدمة:

إذا كانت الفكرة التى يدعو إليها ثقيلة على نفوسهم أو غير مرغوبة لديهم كأن يدعو إلى التحرر فى جمهور ملتزم.

أو أن يدعو إلى الالتزام فى جمهور متحرر ماجن.

أو كمن يدعو إلى الاشتراكية فى مجتمع رأسمالى ....الخ.

حينئذ يقدم الخطيب لخطبته مقدمة تهيئهم لسماع رأيه.

- وتكون المقدمة ضرورية أيضاً إذا لاحظ الخطيب عدم اهتمام السامعين به أو بموضوع خطبته. فهو عندئذ مضطر إلى المقدمة ليثير اهتمام الجمهور به وبموضوعه فإذا كان الخطيب عظيماً أو مشهوراً نفعته شهرته وعظمته فى اهتمام السامعين بقوله.

أما إذا كان مغمورا فهو مضطر إلى أن يلفت النظر إليه ويوجد علاقة بينه وبين السامعين تحملهم على الإصغاء إليه.

وكذلك الشأن في الموضوع:

فقد يكون موضوعا حياً يدور عنه الكلام الكثير وهو موضوع الساعة فهذا وحده كاف فى إثارة اهتمام السامعين به.

وقد يكون الموضوع ذاته هاماً ولكن السامعين لا يلتفتون إليه وليس له فى أذهانهم حياة.

فيضطر الخطيب إذ ذاك فى المقدمة إلى شرح أهميته وإيجاد علاقة بين السامعين والموضوع الذى يريد الخطيب أن يتحدث إليهم فيه.

شروط جودة المقدمة:-

لكى تكون المقدمة جيدة مفيدة للخطبة والخطيب يحسن أن تراعى فيها شروط معينة من أهمها:-

١- أن تكون سهلة فى ألفاظها ومعانيها. قريبة إلى أذهان السامعين. لها صلة قوية بموضوع الخطبة. لتمهد له وتخدمه.

فمن العيوب التى تشين المقدمة: أن تكون معانيها بعيدة عن إدراك السامعين، أو بعيدة عن الموضوع الذى يتحدث فيه.

والخطيب الماهر من يّحسن أن يبتكر مقدمته بعد اجتماع السامعين، ويبتدع المعانى التى يوحى إليها مجتمعهم، ويستخلصها من الملابسات الحاضرة، فإنها حينئذ تكون أوقع فى النفس، وأعلى فى السمع، وأقرب إلى الإقناع، ويكفى الخطيب أمثلة فى ذلك:

الابتداءات الواردة فى القرآن الكريم: كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور: كالفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر.

وكذلك الابتداءات بالنداءات المتكررة فى القرآن الكريم.

كقوله تعالى:-

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم[1]

فإن هذه الابتداءات وأمثالها مما يوقظ السامعين للإصغاء إليها[2]

ومثال ذلك أيضا خطبة أبى بكر الصديق ﷺ يوم السقيفة حين قدم للموضوع الذى هو:

المهاجرون أولى بالخلافة من الأنصار

بقوله:

---

(١) سورة الحج: آية ١

(٢) الخطابة أبو زهرة صـ٩٧

.... إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رسولا إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه. وهم يعبدون دونه آلهة شتى,ويزعمون أنها لهم عنده شافعة, ولهم نافعة,وإنما هى من حجر منحوت,وخشب منجور, يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون:- ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[١].

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم.فخص الله تعالى المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه. والأيمان به,والمواساة له,والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم,وتكذيبهم إياهم,وكل الناس مخالف لهم,زار عليهم[٢]. فلم يستوحشوا لقلة عددهم,وشنف الناس[٣] لهم,وإجماع قواهم عليهم.فهم أول من عبد الله فى الأرض,وآمنوا بالله وبالرسول ﷺ,وهم أولياؤه وعشيرته,وأحق الناس بهذا الأمر من بعده,ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.

وأنتم يا معاشر الأنصار:- من لا ينكر فضلهم فى الدين,ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام,رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله,وجعل إليكم هجرته,وفيكم جلة أزواجه وأصحابه,فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم.

فنحن الأمراء وأنتم الوزراء,لا تفتانون بمشورة,ولا تقضى دونكم الأمور ... [٤]

---

(١) سورة الزمر الآية:٣

(٢) متجمع ضدهم وطردوهم.

(٣)عداوتهم وبغضهم

(٤) جمهرة خطب للعرب جـ١ صـ٦٢

٢- ومن شروط جودة المقدمة: أن تكون واضحة مناسبة لعقول السامعين. موزونة المعاني. دقيقة التعبير.

وإذا كانت الدقة واجبة في كل كلام فهي في المقدمة أوجب .

لأن نفوس السامعين في بداية الخطبة لم تكن قد اتصلت بعد بنفس الخطيب فهم لذلك: أبصر بالنقد وأكثر ميلا إليه وأشد إحساسا بالمؤاخذة عليه وأقرب إلى العناد والمخالفة للرأي.

فإذا ما سيطر الخطيب على عقولهم ومشاعرهم بمقدمة خطبته. أسلسوا له القياد. وخضعت عقولهم وقلوبهم لأسلوبه يصرفها كيف يشاء.

فإذا لم يكن الخطيب دقيقا في مقدمته: أساء الجمهور تقديره وأثر ذلك في موضوع خطبته كلها.

٣- أن تكون المقدمة جذابة. تشوق السامعين إلى سماعها وسماع ما بعدها وجديدة غير مبتذلة أو مشاعة. صالحة لكل خطبة. أي تناسب الموضوع كيفا - جودة ودقة -

لذا يقول ديل كارينجي تحت عنوان - كيف تستهل الحديث؟! - سألت مرة الدكتورولين هار والدها - الرئيس السابق لجامعة الشمال الغربيبيالأمريكي - نورثوسترن -: عن أهم حقيقة تعلمها من التجربة كخطيب مشهور؟! وبعد تفكير لمدة دقيقة أجاب:-

٤- [هي أن أوفق إلى عبارة افتتاحية تستوقف النظر ... شئ يجذب الانتباه في الحال].

وكان غالبا يخطط مقدما كلمات المقدمة.

وكان يفعل نفس الشئ كل من:- جون برايت - جلادستون - ويستر. ولنكولن .. وهم أشهر مشاهير الخطباء وعلماء النفس فى العالم الغربى.

ويفعل ذلك من الناحية العملية كل متحدث ذو تجربة وذوق سليم[1]

وإذا كانت هذه هى نصائح المعاصرين لكل خطيب يريد النجاح لمهنته. فإن لنا فى تاريخنا وثقافتنا العربية الإسلامية زاداً لكل خطباء العالم. وربما يكون نجاح خطباء وعلماء النفس فى العالم الغربى ناشئاً عما أخذوه من ثقافتنا الإسلامية الأصيلة. وطبقوه عندهم. ونسبوه لأنفسهم. وابتكاراتهم. زوراً وبهتاناً. ومما جاء فى ثقافتنا الإسلامية عن خطباء المسلمين ما يكون زاداً لنجاح خطبنا المعاصرة قول ابن المقفع فى تعريف البلاغة:-

- ... وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك. كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته.

ويعلق الجاحظ على هذا الكلام بقوله:-

كأن ابن المقفع يقول:- فرق بين صدر خطبة النكاح. وبين صدر خطبة العيد. وخطبة الصلح. وخطبة التواهب. حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه. فإنه لا خير فى كلام لا يدل على معناك. ولا يشير إلى مغزاك. وإلى العمود الذى إليه قصدت. والغرض الذى إليه نزعت. [2]

أى أن المقدمة لابد أن تكون جذابة تدل على ما يريده الخطيب من خطبته.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٢٣

(٢) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٥

٥- أن تكون المقدمــة متناسبة مـع الخطبـة مـن جهـة الكـم:- طـولا وقصرا.وأن يلحظ الخطيب أن المقدمة ليست إلا مفتاحا للموضوع.
فلا يصح أن يغرق السامعين فى المقدمة حتى إذا أتى للموضوع كان قد أدركهم الملل.
كما أنه لا يصح أن يستنفد قوته فى مقدمته حتـى إذا أتـى الموضـوع كلّ وضعف.
إنمـا يجـب أن يسـير فـى خطبتـه باتئـاد يقـوى كلمــا قويــت مشــاعر السامعين. فـلا يحسـن أن تتدفـق عواطـف الخطيـب فـى أول خطبتـه على حين أن السامعين لا يشاركونه تدفقه.
فإذا هو أفرط فى ذلك أول أمره شـعر بضعفه عندمـا تكـون الحاجـة ماسة إلى تدفق عواطفه.
لـذا يقـول - ديـل كـارينجى - تحـت عنـوان:- سبْق الإعـداد معنـاه السيطرة :-
هذا شعار يصلح لأن يكون خير شعار تضعه على مكتبك حين تقـوم بـالتخطيط لخطبتـك. تكهـن كيـف ستبدأ حديثـك حيـن تكـون عقـول المستمعين متفتحة لتلقط كل كلمـة تلقيهـا. تكهـن بمـدى التـأثير الـذى ستتركه فى النهاية إذا لم يحدث شئ قط يمحو ذلك الأثر.
ومنـذ أيـام أرسـطو قسـمت الخطبـة إلــى ثلاثـة أقسـام. المقدمـة. الموضوع. الخاتمة.
ولا تزال المقدمة تخلو من الأفكار فى غالب الأحيان. فكان الخطيـب آنئذ نديما أو راوية أخبار.
فكـان منـذ مئـات السنين يقـوم بمــا تقـوم بـه الصحـف والمجـلات والتليفزيون والمسرح والسينما فى هذه الأيام.

ولكن الظروف قد تغيرت بصورة مذهلة. وكان تقدم الحياة بواسطة المخترعات فى مئات السنين الأخيرة. أسرع منه فى كل العصور السابقة.

فاخترعت السيارات والطائرات والراديو والتليفزيون... وها نحن سائرون بسرعة فائقة – فعلى الخطيب – أن يراعى فى مقدمته هذه التطورات السريعة

فإذا كنت ستقوم بإلقاء خطبة. فيجب أن تجعل مقدمتها كإعلان مركز. لأن رغبة المستمعين فى هذا الوقت هى [أن تتكلم عن أى شئ تسمعنا إياه بسرعة.وفى قليل من التنميق أو التزيين. وتعطينا الحقائق بسرعة.ثم تجلس] (١)

أنواع مقدمة الخطبة

إن أنواع المقدمة كثيرة جدا لأن المقدمة تتنوع بتنوع مناهج الخطباء. فلكل خطيب منهج خاص فى كيفية التقديم لخطبته أيا كان نوعها. ولا يستطيع أى باحث حصر طرق المقدمة. فى لون معين. والخطيب حرٌ فى أن يستلهم مقدمته كما تشاء ظروف الجمهور والموضوع.

ويمكن لنا أن نمثل ببعض مناهج الخطباء فى مقدماتهم. وتنويعهم فيها:-

١- مقدمة تبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه.والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وكان هذا عرفاً شائعاً لازماً. فى العصر الإسلامى.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٢٣ - ١٢٤

ودأب المسلمون عليه حتى صار قاعدة يندر خلافها. وفى هذا يقول الجاحظ:-

- إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التى لم توشح بالقران وتزين بالصلاة على النبى ﷺ: الشوهاء.

- وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد قال:-

- أما بعد بغير ملالة لذكر الله تعالى. ولا إيثار غيره عليه. فإنا نقول:

كذا. ونسأل كذا - فراراً من أن تكون خطبته بتراء او شوهاء.[1]

ولم تكن هذه السمة خاصة بمقدمة الخطب الدينية فى الجمع والأعياد فقط.

بل كانت سمة عامة فى جميع الخطب.

وذلك للاعتقاد بأن مثل هذه الافتتاحية تعطى الكلام بهاءً ووقاراً.

وفى هذا يقول الجاحظ:-

- وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى كلام يوم الجمع:

أى من القرآن. فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة. وسلس الموقع.

وقال عمران بن حطان [2]

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ٤٠٤ ، جـ٢ صـ٦

(٢) هو ابو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى رأس القعدة من الصفوية وخطيبهم وشاعرهم أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ثم لحق بالشراة فطلبه =

- إن أول خطبة خطبتها عند زياد - أو عند ابن زياد - فأعجب بها الناس وشهدها عمي وأبي. ثم إني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم:

هذا الفتى أخطب العرب. لو كان في خطبته شئ من القرآن[١]

ب- ومن الخطباء من يفتح خطبته بما يشير إلى موضوعها ويلوح بالقصد منها. وقد استحسن ذلك النوع كثير من بلغاء العروبة والإسلام.

ففي تفسير ابن المقفع للبلاغة يقول:- وليكن في صدر كلامك - المقدمة - دليل على حاجتك. كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته.

ويعلق الجاحظ على هذا الكلام فيقول:- كأنه - ابن المقفع - يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب.

حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك. وعلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت [٢].

ومن أبلغ المقدمات والافتتاحيات التي تشير إلى موضوع الخطبة: مقدمة الإمام على بن أبي طالب ﷺ بعد موضوع التحكيم حيث يقول:-

---

= الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ففر إلى عمان ولما طال عمره قعد عن الحرب فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره توفى سنة ٨٤هـ - الجاحظ جـ١ صـ٤١

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٨.

(٢) السابق جـ١ صـ١١٦

- الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح[١] والحدث الجليل وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ليس معه إله غيره. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وآله.

أما بعد:-

فإن معصية الناصح الشفيق. العالم المجرب. تورث الحسرة وتعقب الندامة. وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة[٢] أمرى ونخلت لكم مخزون رأيى[٣] ولو كان يطاع لقصير

---

(١) الفادح: الثقيل. من فدحه الدين: أى أثقله.

(٢) الحكومة: حكومة الحكمين: عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى وذلك بعدما وقف القتال بين على بن أبى طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام فى حرب صفين سنة ٣٧هـ حين رأى جيش معاوية الهزيمة تلحق بهم رفعوا المصاحف على أسنة الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله تعالى.

وكانت الحرب أكلت من الفريقين فانخدع جماعة من القراء وحفظة القران - وهم الذين صاروا خوارج فيما بعد. وجماعة تتبعوهم من جيش على. وقالوا دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه.

فقال لهم أمير المؤمنين:- إنها كلمة حق يراد بها باطل - إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة!!!

أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا فخالفوا واختلفوا فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس فى الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما فى كتاب الله تعالى فاختار معاوية: عمرو بن العاص واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعرى فلم يرض أمير المؤمنين المرغم عليه - واختار عبد الله بن عباس فلم يرضوا ثم اختار الأشتر النخعى فلم يطيعوا فوافقهم علىأبى موسى مكرهاً بعد أن أعذر فى النصيحة لهم فلم يذعنوا ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبى موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده وخلعه عليا أمير المؤمنين كما خلعه أبو موسى وتثبيت معاوية بن أبى سفيان لإمارة المؤمنين وأعقب ذلك ضعف على وأصحابه.

(٣) أى أخلصت لكم الرأى والنصيحة فى أمر التحكيم.

أمر" (١) فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة.
حتى ارتاب الناصح بنصحه (٢) وضن الزند بقدحه (٣) فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن.

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى (٤)

فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد (٥)

جـ- ومن الخطباء من يبتدئ خطبته بحكمة أو مثل سائر أو بيت من الشعر أو بعض أقوال المتقدمين أو بأى شئ يوحى بالموضوع العام للخطبة ويمهد له.

وذلك كاستهلال الحجاج بن يوسف الثقفى حين قصد العراق واليا عليها فى اثنى عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين

---

(١)هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش وكان حاذقا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير : لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلاً.

(٢) يريد بالناصح نفسه

اى أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك فى نصيحته وظن أن الصواب ما أجمعوا عليه وتلك سنة البشر إذا أكثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه.

(٣) اى أنه لم يعد له بعد ذلك رأى صالح لشدة ما لقى من خلافهم.

(٤)أخو هوازن هو دريد بن الصمة كان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم غزا مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها. وأدرك الإسلام فلم يسلم وخرج يوم حنين مظاهراً المشركين وقتل على شركه - الجاحظ جـ١ صـ١٠٧، ومنعرج اللوى:- اسم مكان واللوى هو ما التوى من الرمل أو منقطع الرمل - ج- ألواء - المعجم الوسيط صـ٨٤٨

(٥) نهج البلاغة للشريف الرضى صـ٦١.

انتشر النهار. وقد كان بشر بن مروان [١] بعث المهلب [٢] إلى الحرورية [٣]

فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز حمراء فقال:

عليّ بالناس. فحسبوه وأصحابه خوارج فهمّوا به حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال:-

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .:. متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله .:. وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله

وإنى لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها.:.

وإنى لصاحبها وإنى لأنظر إلى الدماء.

ترقرق بين العمائم واللحى .:. قد شمرت عن ساقها فشمرا [٤]

د- وقد يبتدئ الخطيب خطبته بالثناء على السامعين ليهيئ نفوسهم لتلقى كلامه بالقبول أو بيان أنه واحد من الجماعة التى يخاطبها وأنه فى مستواها ليقربها إليه ويكون لكلامه فضل تأثير فيهم.

---

(١) هو أبو مروان بشر بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس وكان أخوه ابن عبد الملك بن مروان قد ولاه على الكوفة ثم ضم إليه البصرة .... ومات بها بعد قليل.

(٢) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة والى خراسان من قبل الحجاج ومات سنة ٨٣هـ - الجاحظ جـ٢ صـ١٣٤.

(٣) الحرورية نسبة إلى حروراء بالمد والقصر. وهى قرية بظاهر الكونة ..... والحرورية هم أصل الخوارج الذين خرجوا على عليّ وتبرءوا منه وأمروا عليهم ذا الثدية وهو حرقوص بن زهير فخرج إليهم عليٌّ وقاتلهم بالنهروان وقتل ذا الثدية فسموا الحرورية نسبة إلى المكان - الجاحظ جـ٢ صـ٣٠٧

(٤) فشمرى البيان والتبيين جـ٢ صـ٣٠٧ : ٣٠٨

كما قال – وِلْسُن – رئيس الولايات المتحدة في افتتاح خطبة له في اتحاد العمال:-

لقد قَدِمتُ إليكم على أني رئيس الولايات المتحدة ومع ذلك أودُّ لو وضعتم فكرة المنصب جانبا.وعددتموني رجلا من بني الوطن جاء إلى هنا.لكي يتكلم كلام المشورة والنصيحة.لا كلام السلطان. كلام رجال يخاطب كل منهم الاخر. ويريد أن يكون صريحا في وقت قد يكون أعظم حرجا مما عرفه تاريخ العالم بأسره حتى الان. فالواجب يقضي على كل رجل في هذا الوقت أن ينسى نفسه ومصالحه ويملأ نفسه بكل ما في النظرية التي يعتنقها الوطن والعالم من نبل ويعمل في ميدان جديد يترفع عن شئون الحياة العادية ويكون حيث ينظر الرجال إلى أقدار الجنس البشري... (١)

ثانيا: العرض أو الموضوع

هذا هو الجزء الذي يلي المقدمة مباشرة.

وهو يشمل الفكرة أو المبدأ الذي يدعو إليه الخطيب وشرحه شرحا وافيا بإيضاح مع التدليل عليه وتأكيده بكافة البراهين العقلية والنقلية التي يستطيعها الخطيب.ودفعه ما يمكن أن يوجه إلى هذه الفكرة أو المبدأ من انتقادات وطعون.

أهميته:-

تتمثل أهمية هذا الجزء في أنه أساس الخطبة أو عمودها الفقري أو كيانها وصلبها.

فالأجزاء الأخرى يمكن الاستغناء عنها أحياناً.

---

(١) الخطابة : أبو زهرة صـ٩٩

أما هذا الجزء فهو الخطبة نفسها وما عداه من أجزاء فهو من أجله ولخدمته تمهيداً وانتهاءً.

ومهمتها – هى إنجاحه وتثبيت آثاره [١]

شروط جودته:-

يشترط لجودة ونجاح الموضوع عدة شروط أهمها:-

١- الوحدة العضوية أو الموضوعية. بأن يدور الكلام فى الخطبة كلها حول فكرة واحدة ويحللها تحليلا دقيقاً. ويؤكدها تأكيدا قويا تدليلا وتفنيداً.

٢- ترتيب الكلام ترتيباً منطقياً. يبدأ فيه بالأفكار البسيطة السهلة ثم يتدرج. حتى يصل إلى قمة ما يريده. وفى القمة يبدو انفعاله وقوة صوته وقوة عبارته جميعاً [٢]

٣- الوضوح فلا يُسئمْ السامع بالتعقيد والغموض فإن ذلك يصرف الأذهان عن متابعة الخطيب [٣]

ثالثا: الخاتمة أو النتيجة

وهى خلاصة ما يتوصل إليه الخطيب من موضوع الخطبة

أهميتها:-

إن الخاتمة لها أهمية كبرى من حيث:-

---

(١) الخطابة: د.شلبى صـ٥٨

(٢) السابق صـ٥٩

(٣) راجع بالتفصيل شروط نجاح الموضوع فيما سبق من هذا البحث صـ٤٣ وما بعدها

أن لها الأثر الأكبر فى نفوس السامعين،لأنها آخر شئ من الخطبة يبقى فى آذانهم وأذهانهم.وفيها تتركز مشاعرهم وتتجمع عواطفهم .
وكأن الخطيب يقول لهم فيها:-
هذه آرائى فما رأيكم فيها؟!!! وهذه وجهة نظرى فما حكمكم عليها؟!!!
وهى التى يتلوها – عادة:
أخذ الأصوات فى الخطب البرلمانية تأييداً للحكومات أو معارضة لها.
وإصدار حكم القضاة فى الخطبة القضائية إما بالبراءة أو الإدانة
وخشوع السامعين لخطب الوعظ الدينى بتأثرهم أو عدمه.
وتقدير السامعين للخطيب والمحتفل به فى الخطب الحفلية أو عدمه.
إذاً:-

فالخاتمة إن كان وقعها حسنا انسحب ذلك على الخطبة حُسناً. وإن كان وقعها سيئاً انسحب ذلك على الخطبة كلها وساء الأثر .
وضاعت الغاية المنشودة والأمل المرجو والأمر المبتغى ولذلك:-
يجب أن يكون فى الخاتمة من جمال التعبير وحسن الانسجام وجودة المعنى وإصابة الغرض ولطف المقطع وإحكامه ما يبقى أحسن الآثار وأحكم الأفكار (١)

المنهج الأمثل للخاتمة:-

أمثل المناهج لحسن الخاتمة فى خطب الخطباء منهجان هما:-
أولهما:- أن يلخص الخطيب فى الخاتمة آراءه السابقة فى العرض أو الموضوع.

---

(١) الخطابة : أبو زهرة صـ١١٨

ثانيهما:- أن يحاول اجتذاب عواطف السامعين إلى رأيه.
وأحيانا يجمع الخطيب بين المنهجين.
- فإذا سلك الخطيب المنهج الأول ينبغى أن يلخص أراءه فى دقة وإيجاز. مقتصرا على أهم ما قال وعلى الأصول دون الفروع. ويحسن ألا يكرر عبارته السابقة بل يجدد فى التعبير حتى يجدد فى نشاط السامع وأن يكون فى تلخيصه موجزا لا مطنبا
- وإذا سلك الخطيب المنهج الثانى يجب أن يكون خبيرا بأنفس السامعين عارفا لطرق استمالتهم فيستعمل فى كل خطبة أهم الوسائل التى تتفق وذوق السامعين ونفسيتهم.

شروط جودة الخاتمة:-

يشترط لجودة الخاتمة عدة شروط من أهمها:-
١- أن تكون صدى لما استعمله من عرض وتدليل وتفنيد. فليست الخاتمة موضعا لرأى ولا تدليل جديد ولا تفنيد جديد. لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما تكون جزءا من الموضوع وامتدادا له. والواقع أن الخاتمة ما هى إلا إجمال وتركيز يزيد ما قيل فى الموضوع قوة وإثارة للعواطف.
٢- أن تكون قوية ويستحسن أن تكون أقوى جزء فى الخطبة كلها لأنها خلاصة موضوع الخطبة وبقوتها يبقى أثر الموضوع فى أذان وأذهان المستمعين وبضعفها يتلاشى اثر الموضوع من السامعين.
٣- أن تكون قصيرة ما أمكن.
فإن هذا القصر يكسبها قوة ويزيدها روعة. ويستخرج إعجاب السامعين قبل أن يدركهم الملل وخير للخطيب أن يختم خطبته

والسامعون أميل إلى الاستزادة من أن يختمها وهم أقرب إلى السأمه والملل.

٤- أن تكون مثيرة للعواطف في الأمر الذي يريده الخطيب وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الخطيب

(عليما بنفسية الجمهور ووسائل استمالته ليسلك الطريق الملائم لإثارته.

أيلجأ إلى التحذير والترهيب أم إلى الوعد والترغيب؟

أيتسلل إلى القلوب بآمال يثبتها ام بمخاوف يهول بها؟!!) [١]

فإن كان تهديدا وإنذارا كان فيها أقواهما.

وإن كان إثارة للحماسة وحفزا للهمم ألقى في الخاتمة أبلغ ما يثيرها.

وإن كان يريد في خطبته إثارة عاطفة الرحمة أتى بأشد ما يثيرهما في خاتمة القول [٢]

الهدف من جودة الخاتمة:-

إن الهدف المرجو من حسنوجودة خاتمة الخطبة.يتمثل في تحقيق أمرين.

الأول: أن يتم إقناع السامعين حتى لا يبقى للنفوس بعده تطلع. وهذا يكون بذكر مجمل ما أتى به مفصلا خلال عرضه للموضوع.

الثاني: أن يقوى في المستمعين الرغبة في العمل بما أذعنوا له..

---

(١) فن الخطابة: الحوفي صـ١٤٣

(٢) الخطابة أبو زهرة صـ١١٨

وهذا يكون بإفراغ ما في الوسع في تحريك العواطف والمهارة في التأثير [(١)]

وهذان الأمران هما:- الإقناع والاستمالة, وهما أكبر ما يعول عليه في الخطابة ويميزها عن غيرها من فنون القول المختلفة.

---

(١) فن الخطابة: الشيخ على محفوظ صـ٥٨

المبحث الخامس

أنواع الخطابة

تتنوع الخطابة إلى أنواع كثيرة انطلاقا من عدة اعتبارات سيأتى بيانها إن شاء الله تعالى.

تقسيم أرسطو:-

لقد كان أول من عنى بتنويع الخطابة وتقسيمها إلى أنواع أو أقسام هو أرسطو طاليس وقد خصص جزءا كبيرا من كتابه الخطابة[١] لهذا التقسيم.

وهذه الأولية لأرسطو لاعتباره أقدم باحث مشهور فى تصنيف العلوم وتقنينها.

كيفية تقسيم أرسطو:-

وقد قسم أرسطو الخطابة إلى ثلاث أقسام هى:--

١- الخطابة الثوربة أو الشورية أو الاستشارية أو الحملية.

٢- الخطابة البيانية أو الاستدلالية أو التثبيتية.

٣- الخطابة القضائية.

مبررات تقسيم أرسطو

يعتمد أرسطو فى هذا التقسيم على عدة اعتبارات منها:-

أ- أركان الخطبة

ب- الموضوع وغايته

جـ- المستمع

د- الزمن

أولا: باعتبار أركان الخطابة:-

---

(١) صـ٣٦ وما بعدها

هذا الاعتبار مبنى على أن أركان علم الخطابة ثلاثة هى:-

أ- الخطيب ب- الخطبة جـ- المستمع

وقد انحصرت أركان الخطابة فى هذه الثلاثة لأن:-

- الشخص المتقن لهذا الفن الذى يستطيع أن يشافه به الجمهور مقنعاً ومستميلا. هو الخطيب.

- الكلام الموجه إلى جمهور من الناس لإقناعهم بفكرة معينة واستمالتهم نحوها: هو الخطبة.

- الخطبة التى يخطبها الخطيب لابد أن تكون موجهة إلى جمهور من المستمعين.

ولابد من توافر هذه الأركان الثلاثة فى كل خطبة. بل فى كل كلام مشافه.

- متكلم ومتكلم فيه ومتكلم له.أو قائل ومقول فيه ومقول له.

ثانيا: باعتبار الموضوع وغايته:-

الاعتبار الثانى لتقسيم ارسطو للخطابة: اعتبار موضوع الخطبة.

- فقد تتناول الخطبة موضوعاً حاضراً يعيشه الناس. فتسمى هذه الخطبة: التثبيتية أو البيانية او الاستدلالية.

لأن الخطيب يتحدث عن حال قائمة.أو حادث ثابت فى زمانه الحاضر.

- وقد تتناول الخطبة موضوعا يتعلق بأخذ الأهبة للمستقبل وإعداد العدة لما يحدث فيه. فتسمى هذه الخطبة: الثورية أو الشورية أو الاستشارية.

لأن الخطيب يعمل على جلب النفع للأمة او دفع الضر عنها. وسن القوانين التى تسير عليها الأمة فى مستقبلها.

- وكما ان لكل نوع من هذه الخطب موضوعه الخاص به.فإن لكل منها غاية ومقصد أو هدف يتمثل فى:--

١- أن الخطابة الاستشارية يتوجه الخطيب فيها إلى السامعين بالنصيحة أو التحذير.

والغاية من نصحه وتحذيره: بيان النفع والضرر

لأن الناصح يعرض نصحه على أنه الأصلح. والمُحَذِّر يعرض ما يرى فيه الضرر كله.

وما وراء النفع والضرر من شتى الاعتبارات: كالعدل والظلم والحسن والقبح مرده إلى هذين الغرضين.

٢- إن الخطابة القضائية يتوجه الخطيب فيها إلى الاتهام.أو إلى الدفاع.ومهمة المتقاضين لا تخرج عن هذين. لأنهم يهدفون إلى العدل أو الجور،وعليهما يحمل كل ما يقال.

٣- إن الخطابة الاستدلالية يتوجه الخطيب فيها إلى المدح أو إلى الذم.

وهدفه الحسن والقبح الخُلُقيان وإليهما ترجع الأمور المتعلقة بهما[١]

ثالثاً: باعتبار المستمع:-

الاعتبار الثالث فى تقسيم أرسطو للخطابة: اعتبار المستمع للخطبة. والمستمع فى نظر أرسطو: إما أن يكون إنساناً عادياً أو إنسان من ذوى المراتب العليا فى المجتمع كرجال البرلمانات السياسية ورجال القضاء. - فالمستمع إما أن يراد منه الحكم على شئ مضى وانتهى فعله كالمسائل القضائية. فإذا خطب المحامون للترافع أمام هيئة المحكمة.

---

(١) السابق صـ٣٧ وفن الخطابة : الحوفى صـ٦٣

- وهم السامعون - إنما يريدون أن يحكم السامعون على شئ ماض وهو أن المحكوم له أو عليه. قد ارتكب الجريمة أو لم يرتكبها. أو أنه يملك هذا الشئ أو لا يملكه ... الخ

- وإما أن يراد من المستمع الحكم على شئ حاضر ماثل. كخطب المحافل. من مدح شخص والثناء عليه. أو نقده وذمه.

فالخطيب يريد من السامع أن يحكم على هذا الشخص الذى يثنى عليه. أو يذمه. بما يستحقه فى الحالة الحاضرة من إعجاب به. أو احتقار له.

- وإما أن يراد من المستمع الحكم على شئ مستقبل. كخطب البرلمانات السياسية. التى تدور حول سن قانون معين. أو تقرير ضريبة أو رسوم للدولة.

الخطيب هنا يحاول أن يحكم السامع على شئ مستقبلى لصالح الدولة.

رابعاً: باعتبار الزمن:-

الاعتبار الرابع فى تقسيم أرسطو للخطابة: اعتبار زمن الخطبة. والزمن ينقسم إلى ماض. وحاضر. ومستقبل.

الخطبة القضائية تختص بالزمن الماضى لإثبات حالة المتهم بالبراءة أو الإدانة.

والخطبة البيانية. تختص بالزمن الحاضر. لبيان حال المحتفل به مدحاً أو ذماً.

والخطبة الشورية. تختص بالزمن المستقبل. لبيان حال الأمة. نفعاً أو ضراً.

فيقول أرسطو:- إن المستقبل ما يرمى إليه الناصح المشير. ففى الخطابة الاستشارية. ما سيحدث. هو مدار الخطبة.

وللمستقبل تكون النصيحة. وفى المستقبل يكون التحذير.

والماضى هو وجهة المتقاضى. الاتهام يكون بعمل قد وقع. والدفاع يكون عن أمر قد حصل.

والزمن الحاضر هو مدار الخطبة الاستدلالية. فالخطباء يمدحون ويذمون حوادث ماثلة أمامهم.

وهذا لا يمنع أننا كثيراً ما نلجأ إلى الماضى نستمده الدليل. أو إلى المستقبل لنفترض وقوعه. (١)

ملاحظات حول تقسيم أرسطو للخطابة:-

إن تقسيم أرسطو للخطابة على هذا النحو

- هو أول تقسيم لهذا الفن - كما سبق القول - وما دام هو أول تقسيم. فهو قابل للزيادة والنقصان. حسب الظروف والأحوال: المكانية والزمانية والإنسانية. دائمة التغير والتحول.

فهو تقسيم غير جامع لكل أنواع الخطابة. وغير مانع من دخول غير هذه الأنواع الثلاثة فيها. أو تداخلها مع بعضها.

- فتقسيمه للخطابة من حيث الموضوع غير دقيق. لأن الموضوعات كثيراً ما تتداخل مع بعضها.

كأن يلجأ المحامى - وخطبته قضائية - إلى الاعتماد على أمور سياسية. ويعتمد الخطيب السياسى على أمور قضائية.

وقد أحس أرسطو نفسه أن الأقسام متداخله. وقرر ذلك فى قوله:-

---

(١) الخطابة لأرسطو جـ١ صـ١١٢ - ١١٥

- كذلك الذين يهدفون إلى المدح أو الذم. لا يبحثون فيما إذا كان ما يصدر عن ممدوحهم أو مذمومهم يعود بالنفع أو بالضرر - لأن غايتهم الحسن والقبح - وكثيراً ما يمجدونه ويثنون عليه. لأنه يحتقر منفعة خاصة فى سبيل الاستجابة لعمل من الأعمال الحسنة. فهم يمدحون أخيلوس. مثلاً. لأنه انتقم لصديقه فطروقلس

وأخيلوس يعلم أنه كان سيلقى حتفه. وكان فى إمكانه أن يعمل على بقائه.

لأن الموت فى هذه السبيل. كان أجل فى نظره من الحياة. فالموت فى ساحة الشرف جميل. وكانت المنفعة فى استبقاء حياته.

فأخيلوس آثر العمل الجليل الذى هو الموت فى ساحة الشرف. على المنفعة الخاصة[1] التى هى الحياة

ونحن نعلم أن الغرض من خطب المدح والذم: بيان الحسن والقبح لا المنفعة الخاصة.

- كما أن تقسيم أرسطو للخطابة على أُساس الغاية منها. غير صحيح أيضا.

لأن أرسطو يرى أن الغرض من الخطبة الاستشارية: بيان النفع والضرر.

ومن الخطبة القضائية: تقرير العدل. ورفع الجور.

وهذه كلها أغراض متداخلة. فإن العدل حسن. والجور قبيح.

وفى الإشادة بفضائل المكارم: نفع للشعب كله. ودعوة ضمنية إلى الاقتداء بالمثل العالية.

---

(١) الخطابة لأرسطو جـ١ صـ٣٨

وهكذا تتداخل الغايات من الخطب والخطباء[١]

- وكذلك تقسيم أرسطو للخطابة من حيث الزمن: تقسيم غير دقيق.
لأن الزمن يتداخل بعضه مع بعض. فمثلا:-
الخطابة الحملية - وهى مبنية فى نظر أرسطو على الزمن المستقبل.
- كثيرا ما تتناول الماضى والحاضر.
والخطابة الاستدلالية - وهى مؤسسه فى رأيه على الزمن الحاضر كثيرا ما تتعلق بالزمن الغابر.
كأن يعرض الخطيب إلى حياة المكرم أو المؤبن ليستخلص منها وقائع تدل على العظة.
ثم إن الخطيب الماهر من يتخذ هذا الضرب من الخطابة وسيلة لتحبيب البطولة إلى الجمع المستمع. وترغيبه فى الخير والحق. وهذا متعلق بالزمن المستقبل.
وكذلك الخطابة القضائية المرتبطة بالزمن الماضى فى نظر أرسطو قد تنجر إلى المستقبل.
كالثقة بعدالة القضاة والنفرة من الجريمة[٢]

قوة تقسيم أرسطو:-

هذا التقسيم على عيوبه قد استمد نفوذه وسلطانه من مكانة أرسطو. فاستمر حتى القرن الثامن عشر. وفى ذلك يقول الأب - باتو - فى كتابه - مبادئ الأدب :-

---

(١) فن الخطابة: الحوفى صـ٦٦

(١) السابق صـ٦٤

ليس من التحكم أن نجارى بعض الخطباء الحـاليين القـائلين: إن هـذا التقسيم عتيق. وغير مبنى على قواعد متينة.

فلم يعد التقسيم صالحا للاتجاهات الأدبية والفكرية الحديثة.

وقد ناقضه – ديموستين – فى خطبته المشهورة. المسـماة – خطبـة العرش –

فهو يتحدث عن القضية فى الماضى. ولكنه هاجم – إشين – مهاجمة عنيفة.

فبينما هو يخطب خطبة قضائية،إذا به يسترسل فـى خطبـة استدلالية غرضها المدح والذم. وزمنها الحاضر لا الماضى.

وكذلك فعل شيشرون فـى دفاعه عـن – ميلـون – الـذى قتـل – كلاديوس –

فخطابتـه قضائيـة. ولكنهـا كـانت مملـوءة بعبـارات المـدح والـذم وبالنظرات الاجتماعية التى راعى فيها مستقبل الجماعة وأمنها[١]

تقسيم الخطابة بعد أرسطو:-

ظل تقسيم أرسطو للخطابـة سـائداً عنـد كـل أربـاب الخطابـة ثمانيـة عشر أو عشرين قرناً من الزمان تقريباً. ولم يحدث فيه تغيير إلا مـا زاده بعض الخطباء من نوع رابع خاص بالخطابة الدينية.

التقسيم المعاصر للخطابة:-

---

(٢) محاضرات د.إبراهيم سلامة فى الخطابة. وفن الخطابة للحوفى صـ٦٥

إن الخطباء فى العصر الحديث لم يقتصروا على تقسيم الخطابة كما كان سائداً من قبل. أى باعتبار الموضوع أو الزمان أو الغرض منها. كما فعل أرسطو وغيره.

لأن الخطبة تستمد نوعها:-

من ظروفها. ومن اتجاه الخطيب نفسه.

فالخطبة التى تلقى فى المجامع فى شأن من شئون الدولة العامة: خطبة سياسية.

والتى تلقى فى المحاكم: قضائية. والتى تلقى فى المجامع للتكريم أو التأبين هى خطبة المدح فإذا كانت لإصلاح حال المجتمع فهى اجتماعية.

- على أن أرسطو أهمل فى تقسيمه أنواعاً مهمة للخطابة:

وهى الخطابة الدينية والحربية.

ولعله لم يتعرض لهذين النوعيْن من الخطابة لندرة استعمالها فى أمته أو فى عصره.

ثم تطورت أحوال المعيشة: المدنية. والسياسية. والدينية. مما دعا إلى تبديل هذا التقسيم.

لأنه لا يمكن دمج الخطابة الدينية والعسكرية فى نوع من الأنواع الثلاثة عند أرسطو. إلا بتعسف. لأن لكل منها طابعاخاصاً. غير طابع الأنواع السابقة. وغرضاً خاصاً غير الأغراض السابقة.

فالمنهج الحديث لتقسيم الخطابة حسب مقتضيات الأحوال: تقسيم طيب يستند إلى موضوع الخطبة ويعتمد على توجيه الخطيب نفسه.

- ثم إن العقل والمنطق يحتم أن يكون تقسيم الخطابة وتنويعها تابعاً لحاجات الأمة: زماناً ومكاناً وإنساناً.

- [وقدشاعت الخطابة فى عصرنا الحاضر فى فنون وموضوعات كثيرة لكل منها طرائق خاصة. ومناهج بيانية امتازت بها. وطرق للسبق فيها والغلب فيميادينها.] (١)

وكلها تدور حول أقسام رئيسية جامعة لها. تنحصر فى خمسة أقسام وهى:-

١- الخطابة الدينية.

٢- الخطابة السياسية.

٣- الخطابة القضائية.

٤- الخطابة الحفلية.

٥- الخطابة العسكرية.

وهذه الأقسام تخضع لموضوع الخطبة. ومقامها ومناسبتها.

فقد يكون عالم دين. ومع ذلك يخطب فى مجال السياسة أو القضاء أو التكريم أو التأبين. أو فى المجال العسكرى.

وقد يكون رجل سياسة ويتحدث فى الدين وغيره من المجالات. وقد يكون قاضيا. ويتحدث فى غير القضاء من مجالات.. وهكذا. والذى يعنينا من هذه الأنواع: هو الخطابة الدينية. وذلك:-

أ- لأنها هى التى تتصل بمجال دراستنا فى الأزهر الشريف أكثر من غيرها.

ب- ولأن الخطابة الدينية تشمل غيرها من الأنواع لأنها منسوبة إلى الدين. وتتحدث باسم الدين. فهى شاملة لكل ما يشمله الدين من كافة مجالات الحياة: سياسة وقضاء ومسائل اجتماعية وعسكرية .... الخ.

---

(١) الخطابة : أبو زهرة صـ١٥٣

الخطابة الدينية

مفهومها:-

هى أسلوب كلامى مشافه لتوجيه المستمع نحو منهج الدين.
لتحقيق السعادة فى الحياة الأولى والأخرة.
وهذه الخطابة تتضمن:

[الخطابة المنبرية التى تلقى فى الجمع والأعياد. ويوم الحج الأكبر. وعند صلاة الاستسقاء والكسوف والخسوف ....
تلك الأمور التى بين الدين ان لها خطبة.

كما تشمل: المواعظ والخطب التى تلقى فى المجتمعات الدينية أيا كانت.

ففى الجمعيات الدينية وسرادقات العزاء ومجالس الصلح. وما إليها. تلقى خطب تستند فى معانيها وأغراضها إلى الدين.
ويستشهد الخطيب لما يطلب فيها بآيات القرآن الكريم. والحديث الشريف. فهذه كلها خطب دينية.] [1]
فالخطبة الدينية:

هى التى يتحدث فيها الخطيب باسم الدين فى أى مجال من مجالات الحياة: الاجتماعية. أو السياسية. أو الاقتصادية.... الخ.
وإن كان اصطلح بعض الباحثين على تسمية الخطابة الدينية بالوعظ. وتسمية القائمين بها بالوعاظ فهذا تضييق لواسع.

---

(١) الخطابة: د.شلبى صـ١٢٨

لأن الدين يشمل سائر جوانب الحياة. وكافة أمور الأخرة ...

صحيح أن الدعاة إلى تعالى اليوم:

هم الأئمة والوعاظ الذين يباشرون بخطبهم جانباً من الدين. يكاد ينحصر فى باب الأخلاقيات أو فى تعليم بعض أصول العبادات والتشريعات. وابتعدوا عن أنواع كثيرة من الخطب. كالخطب السياسية والعسكرية. وتركوها للسياسيين والعسكريين.

وقد يكون هذا سر قصور الخطابة الدينية على الوعظ. [١]

مجلات الخطابة الدينية:-

إن مجالات الخطابة الدينية - خاصة فى الإسلام - موضوع عميق. واسع الأرجاء. متعددالنواحى كثير الأطراف. لا يستطيع أحد من البشر حصره فى جانب من جوانب الحياة.

لأن الخطابة الدينية فى الإسلام تهتم بكل الأمور: الدينية والأخلاقية,النظرية والعملية,وتقيمها على أسس متينة. ودعائم قوية.

وتهتم كذلك بالأمور الحضارية والمدنية والعلمية والمادية.

فهى تتناول كل ما فى الوجود من قضايا ومسائل تهم الفرد والجماعة فى العلاقة بالخالق والمخلوق.

بل بالكون كله. وبما وراء هذا الكون . من حياة أخرى فيها يثاب المحسن. ويعاقب المسئ.

هذا بالإضافة إلى أن (كل عمل صالح أياً كان نوعه: هو مما يدعو له الإسلام ويحث عليه.

---

(١) الخطابة الدينية نظريا وعملياً. د. محمد رجب الشتيوى صـ٤٩

وكل عمل ضار. ينهى عنه الإسلام.ويحذر من الوقوع فيه.

وهذا مما وسع موضوعات الخطبة الإسلامية) [١]

حتى قال العلامة غوستاف لوبون[٢]:-

وإذا نظرنا إلى المنطق الدينى. من خلال جميع عناصر الحياة الاجتماعية. فإننا نراه ذا تأثير فى الفنون والآداب والسياسة ... ولا تزال البقاع التى ارتادها العلم محدودة.

ولا شك فى أن سيطرة التفكير الدينى على البشر ستمتد زمنا طويلا[٣].

نعم ستمتد سيطرة الدين إلى يوم الدين.

لأنه سلوان الجماعات وعزاء البائسين. وعزة المغلوبين.

وهو الذى يربى الوجدان الفاضل. ويهذب الضمير. ويوقظ الشعور الإنسانى بالفضيلة.

فإرشاده يمس مواطن الإحساس فى النفوس. ويؤثر فيها أبلغ تأثير ويصل إلى الأعماق فى الهداية والصلاح ... ولما كان للإسلام هذا العموم ... كان صالحاً لإرشادِ الناس فى كل أمورهم. وكان للواعظ الإسلامى من النفع. بمقدار ما يستطيع أن يقدمه من

---

(١) الخطابة : د. شلبى صـ١٢٨

(٢) مستشرق فرنسى مشهور بإنصافه للإسلام والمسلمين.

(٣) الخطابة:أبو زهرة صـ١٩٢

إصلاح فى بناء الحياة الاجتماعية عند المسلمين[١]

ولهذا اشتملت خطب النبى ﷺ على كل ما ينفع المسلمين فى حياتهم الأولى والآخرة. فكانت المثل الأعلى الذى يجب أن يحتذيه الخطيب فى كل زمان ومكان. وخير مثال على هذا:-

خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع.

فى يوم التاسع من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة النبوية الشريفة. أتى النبى ﷺ إلى عرفه. وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وأربعون ألفاً من االناس. فقام فيهم خطيباً. فقال:

الحمد لله. نحمده. ونستعينه. ونستغفره. ونتوب إليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له. وم يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

"أوصيكم عباد الله. بتقوى الله. وأحثكم على طاعته. وأستفتح بالذى هو خير".

أيها الناس:-

اسمعوا منى. أبين لكم.فإنى لا أدرى. لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا,فى موقفى هذا.

أيها الناس:-

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم[٢] إلى أن تلقوا ربكم. كحرمة

---

(١) السابق: صـ١٩٢

(٢) حرام عليكم سفك الدماء. واغتصاب الأموال وكان ذلك يفعل فى الجاهلية.

يومكم هذا. فى شهركم هذا. فى بلدكم هذا. [١]

ألا هل بلغت. اللهم اشهد.

فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع. [٢]

وإن أول ربا أبدأ به: ربا عمى العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة.

وإن أول دم أبدأ به. دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. [٣]

وإن مآثر الجاهلية[٤] موضوعة غير السدانة والسقاية. [٥]

والعمد قود - أى قصاص فالقاتل عمداً يقتل- وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر. وفيه مائة بعير. فمن زاد. فهو من أهل الجاهلية.

---

(١) تأكيد للحرمة. لأنهم كانوا يوم عرفة. وهو يوم حرام. وفى بلد حرام. وفى شهر حرام. هو شهر ذى الحجة. وكذلك جملة -ألا هل بلغت اللهم اشهد - من زيادة التأكيد

(٢) موضوع: اى ساقط: يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما أى أسقطته.

(٣) كان مسترضعا فى بنى ليث. وقتله هذيل.

وقد أسقط رسول الله ﷺ ثارات الجاهلية. وأسقط المطالبة بثأر عامر. ومعنى وضع الربا أو الدم أنه لا يطالب به.

(٤) المآثر: جمع مأثرة. ومآثر الجاهلية: مفاخرها التى تؤثر ويروى حديثها وخبرها.

(٥) السدانة: خدمة الكعبة. وهى بفتح السين وكسرها.وكانت السدانة واللواء لبنى عبد الدار فى الجاهلية. فأقرها رسول الله ﷺ فى الإسلام.

والسقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء.

أيها الناس

إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه. ولكنه قد رضــى أن يطاع فيما سوى ذلك. مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس:

إنما النسيئ[١]. زيادة فى الكفر. يُضلُ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً. ليواطئوا[٢] عدة ما حرم الله.

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلــق الله السماوات والأرض. وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شـهراً. فــى كتـاب اللـه يـوم خلـق السماوات والأرض. منها أربعة حرم.

ثلاث متواليات. وواحـد فـرد: ذو القعدة. وذو الحجـة. والمحـرم. ورجب الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت. اللهم اشهد.

أيها الناس:

إن لنسائكم عليكم حقاً. ولكم عليهن حق :

لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم. ولا يدخلن أحداً تكرهونــه بيتكم إلا بإذنكم. ولا يأتين بفاحشة. فإن فعلن. فإن الله قد أذن لكـم أن تعضلوهن[٣] وتهجروهن فى المضاجع. وتضربوهن ضربا غير مبرح[٤]. فــإن انتهيـن وأطعنكم. فعليكـم رزقهـن وكسـوتهن بالمعروف.

---

(١) النسئ: شهر كانت العرب تزيده لتفصل بين شهرى الحرم ذى الحجة والمحرم بشهر حلال.

(٢) ليواطئوا: أى ليوافقوا.

(٣) العضل: هو المنع الشديد.

(٤) هذه العقوبة أبيحت للزوج طبقاً للخطأ الذى ترتكبه الزوجة.

وإنما النساء عندكم عوان[١]. لا يملكن لأنفسهن شيئاً. أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله فى النساء. واستوصوا بهن خيراً. ألا هل بلغت. اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة.ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. الا هل بلغت اللهم اشهد. فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. فإنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده. كتاب الله. ألا هل بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد. وإن أباكم واحد. كلكم لآدم وآدمّ من تراب. اكرمكم عند الله أتقاكم. وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغ اللهم اشهد.

قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث.ولا يجوز لوارث وصية. ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث. والولد للفراش وللعاهر الحجر[٢]

من دعى إلى غير أبيه. أو تولى غير مواليه. فعليه لعنة الله

---

(١) العوان: المتوسطة العمر بين الصغر والكبر من النساء والبهائم.

والعوان من النساء: من كان لها زوج. وحرب عوان قوتل فيها مرة بعد مرة "ج" عُوْنٌ" وكثير من المعاجم اللغوية تفسر – عوان – على أنها جمع عانية أى أسيرة

وأرى:– أن عوان قد تكون من المعاونة أو المساعدة أى ان النساء معاونات لكم على أموركم الدينية والمعاشية فاتقوا الله فيهن واستوصوا بهن خيراً .

كما أن هذه الكلمة من بين المشتركات اللفظية.

(٢) إذا ثبت الزنا على امرأة فالولد لزوجها ويقام عليها الحد فإن كان الزوج منكراً للولد لاعنَ أمه بأن يبرئ نفسه باللعان من حد قذفها بالزنى.

والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١]

هذه الخطبة النبوية الشريفة من أجمع خطب رسول الله ﷺ. لأنها حوت تعاليم كثيرة وهامة. فى الأمن النفسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسياسى وأمور النساء والميراث والالتزام بالكتاب والسنة.

كما أن هذه الخطبة جمعت أصولاً قد تبدو الآن معترفاً بها مجمعاً عليها. ولكن الذين درسوا حالة المجتمع الغربى. وقت إلقائها. بل حالة المجتمع الإنسانى يعرفون أنها كانت أساساً جديداً لأكبر انقلاب اجتماعى منذ ظهوره ﷺ.

ويلحظون إحاطتها - على قصرها - بالداء والدواء. وأن فيها أسس الحضارة التى جعلت من العرب أمة تسوس المشرق والمغرب قرونا كثيرة. وها هى الأيام تمر. فتبلى كل جديد وفصاحة النبى محمد ﷺ وبلاغته لا تزال نضرة عذبة يبتهج بها المتطلع إلى الأدب والعلم ويجد فيه الأديب رياً وشفاءً[٢].

أهم أركان الخطبة النبوية الشريفة فى حجة الوداع

تشتمل هذه الخطبة الشريفة على:-

أولا: المقدمة وتشتمل على الحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهله والشهادتين والوصية بتقوى الله عز وجل والحث على طاعته.

(١) سير ابن هشام جـ٤ صـ١٨٣ والبيان والتبيين جـ٢ صـ٣١
(٢) مع الله:الشيخ محمد الغزالى صـ٤٤٢

ثانيا: الموضوع:

ويشتمل على أمور كثيرة سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: الانتهاء: من الخطبة بدون خاتمة منفصلة.

لأن النبى ﷺ أدمج الخاتمة فى سياق العرض بعد كل وصية أو أمر وكان من السامعين إصغاء وانتباه ويقظة عقلية وقلبية وضميرية فانتفعوا ونفعوا وتعلموا وعلموا.

مكونات موضوع الخطبة الشريفة

(١) تنبؤ النبى ﷺ بانقضاء أجله وصدقت النبوءة بعد واحد وثمانين يوما تقريباً.

(٢) تحريم القتل وسلب أموال الغير.

(٣) الأمر بأداء الأمانة.

(٤) تحريم الربا والبدء بتحريم ربا عمه العباس ليكون قدوة لغيره.

(٥) تحريم الأخذ بالثأر والبدء بإسقاط ثأر ابن عمه ليكون فى ذلك قدوة لغيره.

(٦) تحريم كل مآثر الجاهلية إلا ما كان صالحا للإسلام والمسلمين كخدمة البيت الحرام وسقاية الحجيج.

(٧) تأكيد تشريع القصاص فى القتل العمد وتفصيل الدية فى القتل الخطأ.

(٨) التحذير من اتباع الشيطان فى أى شئ ولو كان قليلا.

(٩) كيفية التعامل مع الزمن وعدم تطويع الزمن لهوى الإنسان. يحل منه. ويحرم كيفما يشاء.

(١٠) العدالة الاجتماعية فى داخل الأسرة الصغيرة. ببيان حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة تجاه الأخر. وكيفية إصلاح الأخطاء بالأسلوب الأدبى الرفيع.

(١١) العدالة الاجتماعية داخل الأسرة الكبيرة. - كافة المجتمع الإسلامى - وبيان السبيل التى تؤدى بهم إلى العدالة فى كل أمورهم الشخصية والاجتماعية النظرية والعملية. وهى:

التمسك بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة. فى كل زمان ومكان.

(١٢) تأكيد مبدا التوحيد لله عز وجل. والمساواة بين كل البشر.

(١٣) تأكيد وجوب الدعوة الإسلامية على كل المسلمين. كل على قدر طاقته. وفى حدود ثقافته ومعلوماته.

(١٤) كيفية تقسيم الميراث. وعدم تمييز أحد الورثة باى شئ إلا برضا كل الورثة فيما لا يزيد عن الثلث.

(١٥) معالجة قضية الأنساب بين الأبناء والأباء.

منهج الخطابة الدينية فى الإقناع والتأثير:

تقوم الخطابة الدينية على منهج مؤثر وقوى.

لأنها تعتمد على اللفظ المؤثر. والمعنى المقنع والأداء الحسن. والشخصية القوية.

فهى تعتمد فى ألفاظها على هدى القرآن الكريم والسنة الشريفة. وتعتمد فى معانيها على حقائق الدين الحنيف ومعانيه وأهدافه ومراميه.

وتعتمد فى أسلوبها على الكلمة الجادة الهادفة. وتعتمد فى تأثيرها على:

أ- مخاطبة الفطرة التى فطر الله عليها الناس جميعاً.

ب- وعلى إثارة العاطفة لتحبب إليها الخير. وتنفرها من الشر. وتوجهها إلى تقوى الله تعالى. وحبه وخشيته.

إذاً: فمحور الخطبة الدينية. يدور على إثارة المشاعر لفعل الخير. وتجنب الشر. وتوجيه النفوس نحو الله تعالى.

فإن كانت الخطابة السياسية والقضائية تدور حول القضايا الإنسانية وحدها. فإن الخطابة الدينية. ترفع الإنسان من العالم الأرضى وحده. لتربطه بإرادة الله تعالى وقدرته وعظمته. وتوجهه نحو النظر إلى السماء كما ينظر إلى الأرض. والنظر إلى الموت. كما ينظر إلى الحياة. والنظر إلى الحياة الأخرى كما ينظر إلى الحياة الدنيا.

أسباب تأثير الخطب الدينية فى المستمع:-

إن الخطب الدينية هى أشد أنواع الخطب تأثيراً فى الجمهور. وإن الجمهور أكثر استعداداً للتأثر بالخطيب الدينى.

وذلك:-

لما وقر فى النفوس من عظمة الدين وجلاله. (واللجوء إلى الله تعالى فى الشدائد - ولا يخلو إنسان من شدائد - والفطرة الإنسانية تتجه إلى الخير وتحبه وتجل الحق وتكبره.

حتى مرتكبى الذنوب والآثام يجلون أهل الخير ويقدرونهم ويدركون أنهم أقل رتبة من الأطهار. بسبب تلوثهم بالمعصية) [١]

لذلك: كان تأثير الخطب الدينية والخطيب الدينى أقرب وكان إقناع السامعين واستمالتهم بها أيسر.

تاريخ الخطابة الدينية فى الإسلام:-

عرفت الخطابة الدينية فى الإسلام منذ أن خطب النبى ﷺ أول خطبة له بمكة. وذلك لمّا أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة. فى قوله سبحانه: "وأنذر عشيرتك الأقربين" [٢]

دعاهم النبى ﷺ مراراً. وفى إحدى هذه المرات خطبهم قائلاً: الحمد لله. أحمده. وأستعينه. وأومن به. وأتوكل عليه. وأشهد ان لا إله إلا الله. وحده لا شريك له.

ثم قال: - إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم. ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم. والله الذى لا إله إلا هو. إنى رسول الله إليكم خاصة. وإلى الناس عامة. والله لتموتن كما تنامون. ولتبعثن كما تستيقظون. ولتحاسبن بما تعملون. وإنها الجنة أبداً. أو النار أبداً [٣]

هذه هى أول خطبة خطبها النبى ﷺ. بعد النبوة والرسالة. وهو بمكة. وهذه الخطبة مع قصرها. تشتمل على مبادئ الإسلام

---

(١) الخطابة : د. شلبى صـ١٢٩

(٢) سورة الشعراء. آية ٢١٤

(٣) الرحيق المختوم صـ٩٠ . والسيرة الحلبية جـ١ صـ٢٧٢

ومحتويات الرسالة كلها. بأسلوب غاية في الفصاحة والبلاغة. والحكمة وفصل الخطاب.

وأهم ما تدور حوله الخطبه:-

١- الإيمان بالله تعالى. والشهادة بالوحدانية.

٢- الإيمان بالرسول ﷺ. والشهادة له بالرسالة.

٣- التأكيد على عالمية الدعوة الإسلامية لكل الناس عربهم وعجمهم.

٤- الإيمان باليوم الاخر. بداية من الموت. ثم البعث. ثم الحساب. ثم ما يترتب على الحساب من نعيم في الجنة. أو عذاب في النار.

ارتباط الخطابة فى الإسلام بشعائره

اتخذت الخطابة الدينية فى الإسلام طابعا رسميا واضحا منذ أن اقترنت بأداء بعض الشعائر الدينية. كصلاة الجمعة. والعيدين. والحج الأكبر يوم عرفة. وصلاة الكسوف والخسوف...الخ

وأهم هذه المناسبات وأكثرها أداء وتكرارا بين المسلمين:-

خطبة صلاة الجمعة

منزلتها فى القرآن الكريم:-

ورد ذكر الجمعة[1] يوما. وخطبة. وصلاة - فى القرآن الكريم

---

(١) الجمعة بضم الجيم وتثليث الميم - بالسكون والضم والفتح - قال الفراء: يقال:- الجمعة بسكون الميم. والجمعةِ بضم الميم. والجمعة بفتح الميم.

فتوجه على الفتح: أنها صفة لليوم. فهى بمعنى الفاعل. أى اليوم الجامع للناس. فالجمعة تجمع الناس وتكثرهم كما يقال: ضحكة للذى يضحك كثيراً. وهمزة ولمزة لكثير الهمز واللمز. وقال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم. فاقرؤها - جمعة - يعنى بضم الميم. وهو المشهور. تجمع جمعات. =

فى سورة كاملة. سميت باسم - الجمعة - وذلك فى قوله تعالى:-
(يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع. ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله. واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما. قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) [١]

منزلتها فى السنة الشريفة:-

وردت أحاديث كثيرة تبين منزلة الجمعة وفضلها. من ذلك:-
ما رواه ابن ماجه عن أبى لبابة بن عبد المنذر قال: قال النبى ﷺ إن يوم الجمعة سيد الأيام. وأعظمها عند الله. وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر. فيه خمس خلال: خلق الله آدم. وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض. وفيه توفى الله آدم. وفيه ساعة لا يسال الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه. ما لم يسأل حراما. وفيه

= وقال الفراء وأبو عبيد: والتخفيف - بتسكين الميم - أقيس وأحسن.
نحو: غرفة وغرف. وطرفة وطرف وحجرة وحجر وتجمع على جمع وهى بمعنى المفعول أى المجموع فيه. وفتح الميم: لغة بنى عقيل. وقيل: إنها لغة النبى ﷺ.
وعن سلمان رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: إنما سميت جمعة لأن تعالى جمع فيها خلق آدم.
وقيل لتجتمع الجماعات فيها.
وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة - تفسير القرطبى جـ١٠ ، صـ ٢١ : ٦٨
(١) سورة الجمعة آية ٩ : ١١

تقوم الساعة. ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض. ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة.

- وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ:- "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة. فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه. فإن صلاتكم معروضة عليّ. فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت. يعني بليت؟! فقال ﷺ :- إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء(١)

ومما ورد فى شأن الجمعة أيضا:

ما رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا. وأوتيناه من بعدهم. ثم هذا اليوم الذى كتبه الله علينا هدانا الله له. فالناس لنا فيه تبع. اليهود غدا والنصارى بعد غد.

وفى أخرى:-

نحن الآخرون الأولون يوم القيامة. ونحن أول من يدخل الجنة. بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا. وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق. فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه. هدانا الله له.

قال يوم الجمعة: فاليوم لنا وغداً لليهود. وبعد غد للنصارى(٢)

---

(١) سنن ابن ماجه جـ١ صـ٣٤٤ فضل الجمعة.

(٢) صحيح مسلم جـ٦ صـ١٤٢ كتاب الجمعة.

ومما ورد فى شأن الجمعة والترهيب من التهاون فيها:-

ما رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا. وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا. وصِلُوا بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له. وكثرة الصدقة فى السر والعلانية. ترزقوا وتنصروا وتجبروا. واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا. فى يومى هذا. فى شهرى هذا. فى عامى هذا. إلى يوم القيامة. فمن تركها فى حياتى أو بعدى. وله إمام عادل أو جائر. استخفافا بها. أو جحودا لها. فلا جمع الله له شمله. ولا بارك له فى أمره. ألا. ولا صلاة له. ولا زكاة له. ولا حج له. ولا صوم له. ولا بر له حتى يتوب.فمن تاب. تاب الله عليه. ألا. لا تؤمَّن امرأةٌ رجلاً. ولا يؤمْ أعرابيٌ مهاجراً. ولا يؤم فاجرٌ مؤمنا. إلا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه وسوطه(١)

وعن أبى الجعد الضمرى - وكان له صحبة - قال:

قال رسول الله ﷺ :

"من ترك الجمعة ثلاث مرات. تهاونا بها. طبع الله على قلبه.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ "من ترك الجمعة ثلاثا. من غير ضرورة. طبع الله على قلبه. (٢)

---

(١) سنن ابن ماجه جـ١ صـ٣٤٣. باب فى فرض الجمعة.

(٢) السابق. جـ١ صـ٣٥٧. باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر

منزلة يوم الجمعة قبل الإسلام:-

كان ليوم الجمعة فى الجاهلية قبل الإسلام. منزلة عظيمة. فكانوا يسمونه فى الجاهلية:- - يوم العروبة اى يوم الرحمة والزينة والتحسين. لأنه يوم تجمل.

قال أبو سلمة: أُول ما قال: أما بعد. وأول من سمى الجمعة جمعة. وأول من جمع فى الجاهلية بمكة: كعب بن لؤى الجد السابع للنبى ﷺ. وقد كان يخطب العرب فى الشئون المختلفة. ويحث كنانة على البر وأعمال الخير. وكان مهيبا مسموع الكلمة. ولما مات أكبروا موته. وأرخوا به حتى كانت الهجرة النبوية الشريفة. فاتخذها عمر بن الخطاب مبدأ لتاريخ المسلمين[١]

فخطب كثيرا. وبشر بمبعث النبى ﷺ. وحض على اتباعه. وكانت قريش تجتمع إليه. فيخطب فيهم. ومما كان يخطبهم به ما رواه ابن كثير عن أبى سلمة قال:

كان كعب بن لؤى يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه يوم العروبة فيخطبهم فيقول:

أما بعد: فاسمعوا وتعلموا. وافهموا واعلموا ليل ساج. [٢] ونهار ضاح[٣] والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام. والأولون كالآخرين . والأنثى والذكر والروح وما يهيج

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ٣٥١

(٢) مظلم

(٣) بالحاء يعنى نير وبالجيم يعنى اسم فاعل من ضج أى نهار ملئ بالعمل والكفاح والحركة.

إلى بلى[١] فصلوا أرحامكم. واحفظوا أصهاركم . وثمّروا أموالكم . فهل رأيتم من هلك رجع . أو ميت نشر ؟!
الدار أمامكم[٢] والظن غير ماتقولون . حرمكم زينوه وعظموه . وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم.
ثم يقول :-

نهار وليل كل يوم بحادث .:. سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا .:. وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد .:. فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

ثم يقول :-
والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر . ويد ورجل . لتنصبت فيها تنصب الجمل[٣] ولأرقلتُ [٤] بها إرقالَ العَجِلِ ثم يقول :-

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته .:. حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

قال أبو سلمة وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث رسول الله ﷺ ٥٦٠ خمسمائة وستون عاماً[٥]

---

(١) فناء
(٢) يعنى بالدار : الكعبة : أو الدار الآخرة فيحث على العمل من أجلها.
(٣) لتحملت فيها ما يتحمله الجمل من المصاعب والمشاق.
(٤) لأسرعت
(٥) البداية والنهاية : ابن كثير جـ٢ ، صـ٢٤٤

أول جمعة أقيمت فى الإسلام

أ- يرى كثير من العلماء ومنهم الإمام محمد بن سيرين أن أهل المدينة المنورة أقاموا شعائر الجمعة قبل أن يقدم النبى ﷺ إلى المدينة.

وقبل أن تنزل سورة الجمعة وهم الذين سَمُّوها : الجمعة . وذلك أنهم قالوا:- إن لليهود يوماً يجتمعون فيه . فى كل سبعة أيام يوم. هو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك وهو الأحد.

فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوماً لنا نذكر الله ونصلى فيه.ونستذكر. - أو كما قالوا:-

فقالوا:-

يوم السبت لليهود. ويوم الأحد للنصارى وجعلوه يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة أبو أمامة رضى الله عنه. وصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم. فسموه يوم الجمعة. حين اجتمعوا فذبح لهم أسعد شاةفتعشوا وتغدوا منها لقلتهم[1] وهذه أول جمعة فى الإسلام[2].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضى الله عنهما:-

---

(١) لأنهم كانوا اثنى عشر رجلاً أو أربعين تقريباً.

(٢) تفسير القرطبى جـ١٠ ، صـ٦٨٢١

قال : كنت قائد أبى أبى بن كعب بن مالك حين ذهب بصـره . فكنـت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة •
أسعد بن زرارة : قال عبـد الرحمـن فمكثت حينـا علـى ذلـك لا يسـمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له قال : فقلـت فـى نفسـى : وا لله إن هـذا بـى لعجز ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبى أمامة ؟!!

فقال أبى:- أى بنى كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيـت من حرة بنى بياضة. يقال له: نقيع الخضمات (١) •
قال - عبد الرحمن-
قلت: وكم أنتم يؤمئذ؟! قال أربعون رجلاً. (٢)
ب- وقال البهيقى : وروينا عن موسى بن عقبة عن ابـن شـهاب الزهرى رضى الله عنه.
أن مصعب بن عمير كان أول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين.
قبل أن يقدمها رسول ﷺ .
وذلك لما رواه الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنه.

---

(١) الهزم - بفتح فسكون- فى الأصل : المنخفض من الأرض. والنبيت:لقب ابـى حى اليمن وأسمه: عمرو بن مـالك. حرة بنـى بياضـة: قريـة علـى بعـد ميـل مـن المدينة . وبنى بياضة بطن من الأنصار. والنقيع: المستنقع من الأرض يمكـث فيـه الماء مدة. فإذا غار نبت الكلأ.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ، صـ٣٣

قال : أذن للنبى ﷺ فى الجمعة قبل أن يهاجر . فلم يستطع أن يجمع بمكة فكتب إلى مصعب بن عمير :-

- وأما بعد فانظر إلى اليوم الذى تجهر فى اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم.

فإذا مال النهار عن شطره. عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين. (١)

ويدل على هذا أيضاً : قول أبى مسعود الأنصارى:

أول من قدم المدينة من المهاجرين : مصعب بن عمير رضى الله عنه.

وهو أول من جمع بها يوم الجمعة. جمعهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ . فصلى بهم . وهم اثنى عشر رجلاً(٢) ويمكن الجمع بين الروايتين بما قاله البيهقى:-

يحتمل أن يكون مصعب جمع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضاف كعب إليه. (٣) بمعنى أن أسعد هو أول من جمع الناس. وكان مصعب أماماً لهذا الجمع. أى أن أسعد كان أميراً ومصعباً كان إماماً(٤)

وعلى هذا يتضح:

أنها فرضت على النبى ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة. إلا أنه لم يتمكن

---

(١) نيل الأوطار جـ٣ ، صـ٢٣٣

(٢) السابق جـ٣ ، صـ٢٣١

(٣) تفسير القرطبى جـ١٠ ، صـ ٦٨٢٢

(٤) نيل الأوطار جـ٣ ، صـ ٢٣١

هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة.

وما ذاك إلا لأن شعارها الإظهار. وكان النبى ﷺ مستخفياً لشدة مخالفة المشركين له. وأذيتهم إياه.

أول جمعة صلاها النبى ﷺ :

روى ابن إسحاق أن النبى ﷺ فى طريق هجرته من مكه إلى المدينة أقام بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس. وأسس مسجده[١]

ثم أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعة ..... فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف . فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى . وادى رانوناء.

فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلين بالمدينة. أو مطلقا. لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة. وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له. وأذيتهم إياه[٢]

---

(١) ذكر أن رسول االه ﷺ كان أول من وضع حجراً فى قبلته. ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى حجر رسول الله ﷺ . ثم أخذ الناس فى البنيان . وكان مسجد قباء أو مسجد بنى فى الإسلام.

(٢) السيرة النبوية: ابن هشام جـ٢ ، صـ٣٥ والبداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ، صـ٢١٣، ٢١٤

أول خطبة جمعة خطبها النبى ﷺ :-

روى ابن جرير الطبرى عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى رضى الله عنه أنه بلغه عن خطبة النبى ﷺ فى أول جمعة صلاها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف رضى الله تعالى عنه:

- الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه. وأومن به. ولا أكفره. وأعادى من يكفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان. ودنو من الساعة وقرب من الأجل.

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا.

وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله.

فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى.

وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة . وعون صدق على ماتبتغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره,وذخرا فيما بعد الموت حتى يفتقر إلى ما قدم.

وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد. [١]

والذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى: (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد [٢]).

واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً[٣]).

ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيماً,وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته,وتوقى سخطه,وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضى الرب,وترفع الدرجة,خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله.

قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين,فأحسنوا كما أحسن الله إليكم,وعادوا أعداءه,وجاهدوا فى

---

(١)يشير إلى قوله تعالى -يوم تجدكل نفسماعملت من خير محضراً . وما عملت من سوء تودلو بينها وبينه امداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد- سورة آل عمران آية:٣٠

(٢) سورة ق آية : ٢٩

(٣) سورة الطلاق آية : ٥

الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة.

ولاقوة إلابالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه " الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"[١]

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال:

كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

(أما بعد أيهاالناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راعى ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان أوحاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك واتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟

فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزئ الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢]

---

(١) البداية والنهاية : جـ٣ ، صـ ٢١٣

(٢) السابق جـ٣ ، صـ ٢١٤

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال :-

(إن الحمد لله أحمده وأستعينه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسى عنه قلوبكم. فإنه من يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاه واصدقوا الله صالحما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1]

أركان خطبة الجمعه

يتضح من خطبة النبى ﷺ لأول جمعة صلاها أن خطبة الجمعة لابد أن يتوفر فيها أركان أساسية أجمع عليها العلماء ومن أهم هذه الأركان:-

الركن الأول:- البدء بحمد الله تعالى والثناء عليه بماهو أهله.

يقول الإمام ابن القيم :- وكان ﷺ لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله تعالى.

---

(١) السابق جـ٣ ، صـ٢١٤

وأما قول كثير من الفقهاء:- إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وخطبة العيد بالتكبير فليس معهم فيه سنة عن النبى ﷺ البتة وسنته تقتضى خلافه, وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله[١].

حتى بلغ الأمر بخطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان أنهم ما زالوا يسمُّون الخطبة التى لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتحميد البتراء[٢] - أى الناقصة-.

الركن الثانى: الشهادتان والصلاة والسلام على النبى ﷺ.

الركن الثالث: قراءة شئ من القرآن الكريم.

وقد بلغ الأمر بخطباء السلف وأهل البيان أن يسموا الخطبة التى لم يذكر فيها الشهادتان -الجذماء-

ويسمون التى لم توشح بالقرآن الكريم وتزين بالصلاة والسلام الرسول ﷺ - الشوهاء -.

قال عمران بن حطان[٣] خطبت عند زياد خطبة ظننت أنى لم اقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول :- هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن.

---

(١) زاد المعاد جـ١ ، صـ٤٧

(٢) البيان والتبين جـ٢ ، صـ٦

(٣) هو ابن سماك عمران بن حطان بن طبيان السدوسى رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ثم لحق بالشراة توفى سنة ٨٤هـ - الجاحظ جـ١ ، صـ٤١.

وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والإستفتاح بالتحميد قال : أما بعد بغير ملالة لذكر الله ولا إيثار غيره عليه فإنا نقول.....

فراراً من أن تكون خطبته : بتراء أو شوهاء(١)

الركن الرابع: الوصية بتقوى الله عز وجل.

الركن الخامس: الدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى أمور معاشهم ومعادهم. وقد أكد الشافعية على هذه الأركان الخمسة لأنها تجعل الخطبة شاملة كاملة مؤدية للغرض المطلوب منها(٢)

أهمية خطبة الجمعة

الجمعة -خطبة وصلاة - من أهم العبادات التى يلتزم بها المسلمون فى كل زمان ومكان.وقد ركزت السنة النبوية الشريفة على هذه الشعيرة لما لها من أثر فعال فى غرس الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً فى نفوس المسلمين,ودعت السنة الشريفة إلى المواظبة عليها لما فيها من الثواب والفائدة.

وشجعت عليها وعلى التهيؤ لها نفسياً وجسدياً لتكون فائدتها أكثر وأثرها أعم وأعظم.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :-

---

(١) البيان والتبين جـ٢ ، صـ٦

(٢) راجع الفقه على المذاهب الأربعة صـ٣٣٧

غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس الطيب ما قدر عليه.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال:-

حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده.

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت:-

كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالى فيأتون فى العباء ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح فأتى رسول الله ﷺ إنسان منهم وهو عندى فقال رسول الله ﷺ : لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا ؟!!! (١)

وروى ابن ماجة بسنده عن أوس بن الثقفى. قال : سمعت النبى ﷺ يقول :- من غسل يوم الجمعة واغتسل. وبكر. ومشى ولم يركب. ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ. كان له بكل خطوة عمل سنة. أجر صيامها وقيامها.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه؟ أن رسول الله ﷺ قال:-

إذا كان يوم الجمعة. كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة. يكتبون الناس على قدر منازلهم. الأول فالأول. فإذا خرج الإمام. طووا الصحف.

---

(١) صحيح مسلم جـ٦ ، صـ١٣٢ : ١٣٣

واستمعوا الخطبة فالمهجر[1] إلى الصلاة كالمهدى بدنه[2] ثم الذى يليه كمهدى بقرة. ثم الذى يليه كمهدى كبش. حتى الدجاجة والبيضة .... فمن جاء بعد ذلك. فإنما يجئ بحق إلى الصلاة.

وعن علقمه قال: خرجت مع عبد الله إلى الجمعة. فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:-

إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات الأول والثانى والثالث. ثم قال:-

رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد.

وعن أبى ذر عن النبى ﷺ. قال:-

من اغتسل فأحسن غسله. وتطهر فأحسن طهوره. ولبس من أحسن ثيابه. ومس ما كتب الله له من طيب أهله. ثم أتى الجمعة ولم يلغ ولم يفرق بين إثنين. غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى[3] .

ولقد لعبت خطبة الجمعه دورا كبيرا فى المسيرة الإسلامية عبر تاريخها الطويل. فمن خلال هذا المنبر الإسلامى الذى انتشر فى ديار الإسلام : طرحت مفاهيم العقيدة وتعاليم الشريعة. وسير الأنبياء والصالحين والمجاهدبن.

---

(١) اسم فاعل من التهجير والمراد به بالمبادرة إلى الجمعة.

(٢) المهدى: المتصدق. بدنة واحدة البدن وهى الأبل..

(٣) سنن ابن ماجة جـ١ ، صـ٣٤٦ : ٣٤٨ .

ومن خلال هذا المنبر الحى المتجدد عولجت المشاكل التى كانت تستجد فى كل عصر ومصر . وطرحت الحلول المناسبة.ومن خلال هذا المنبر الأسبوعى الذى لا يختلف . استطاع الخطباء البارعون الصادقون أن يبعثوا فى النفوس روح الجهاد ضد الغزاة والمارقين الذين عانت الأمة منهم عبر تاريخها الطويل : الكثير والكثير.

ومن خلال هذا المنبر الدعوى المؤثر استقبل المسجد أفواجاً من التائبين الذين بدأوا رحلة التزامهم من صلاة الجمعة..

فكانت الخطبة دعماً وترسيخاً لمشاعر الهداية التى استيقظت فى أعماقهم التائبة..

وقد استمرت صلاة الجمعة وخطبها عبر القرون شعيرة خالدة ومعلماً بارزاً من معالم المجتمع الإسلامى.

حافظ المجتمع الإسلامى على هذا المعلم وعلى استمراريته فى أسوأ الأيام التى مرت بعالمنا الإسلامى . حتى فى هذا العصر الذى انحصر فيه مد الإسلام وتخلف فيه المسلمون وغابت منه الخلافة الإسلامية.

ظلت خطبة الجمعة منبراً صامداً للإسلام تفئ إليه الجماهير المسلمة من قيظ الفساد والضياع والإنحراف الذى يلوث حياتها وظل صوت الخطباء المسلمين عالياً يصدع كل أسبوع بكلمات الحق ويذكر المسلمين بأيام الإسلام المجيدة. وعزهم المفقود. ويروى للأجيال أخبار من ساروا على دروب الجهاد. وحملوا

مشاعل الهداية والنور . ويحذر من الأخطار المحدقة بالأمة. والتحديات الكبرى التى تنتظرها[١].

وقد أدرك أعداء الإسلام والمسلمين أهمية الجمعة وخطورتها على أنشطتهم فى العالم الإسلامى. لما يجدون فيها من جمع كلمة المسلمين وتوحدهم ضد أعدائهم وأعداء دينهم . ولما للجمعة من تأثير مرعب . ووقع مزلزل على نفوسهم.

حدث أن المستر- جلادستون- رئيس الوزراء البريطانى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ألقى خطاباً فى مجلس العموم البريطانى قال فيه:-

إنه لن يقوم لمستعمراتنا استقرار فى الشرق الأوسط إلا إذا تمكنا من القضاء على ثلاثة أشياء:-

المصحف. و صلاة الجمعة. و الوقوف بعرفات.

وكان بيده المصحف يلوح به للأعضاء . فأخذت الحماسة أحدهم فقام كالمحموم. وخطف المصحف من يده ومزقه. فقال له - جلادستون - ما أردت تمزيقه هكذا أيها الأحمق؟!

إنما أردت تمزيقه من صدور المسلمين[٢].

إن لهذه الحادثة من المعانى ما لا يعزب عن فكر أى مسلم. ولها من الدلالات ما لا يغيب عن وجدان أى مسلم.

---

(١) خطبة الجمعة فى العالم الإسلامى د. محمد عماد صـ٤

(٢) إرشاد العباد إلى الطريق الرشاد والخطابة الدينية نظرياً وعملياً د. محمد الشتيوى صـ٥٤

فهذه الدعائم الثلاثة:-

المصحف - الجمعة - عرفات

دعائم يرتكز عليها صدر الإسلام المشيد.

١- المصحف بتعاليمه وقوانينه وتوجيهاته وهديه ونوره وذكره وعلمه: يهيمن على كل مسلم.

٢-- الجمعة بجلالها وعلو قدرها :مؤتمر إسلامى أسبوعى يغسل القلوب إذا ما تراكم عليهاالصدأ وعليتها الغشاوة والغفلة.

٣-عرفات بجلالها وروحانيتها : مؤتمر إسلامى كبير ينعقد كل عام. ترتفع فيه الحناجر. تهتف بواحدنية الله تعالى.

فهل تنبهت العقول وتأكدت الأبصار والبصائر لما يحاك من مؤامرات ضد الإسلام والمسلمين :- قرانا وجمعة وحجا ؟!!!

وإذا كان ليوم الجمعة هذه الأهمية فى الإسلام فما ذلك إلا لفضله وشرفه ومنزلته عند الله تعالى ورسوله ﷺ والمسلمين الفاقهين.

وإذا كان ليوم الجمعة هذه الخطورة والرهبة عند أعداء الإسلام والمسلمين فما ذلك إلا لما يدركونه من أثر هذا اليوم فى المسيرة الإسلامية . وماله من قوة وحيوية يستمد منها المسلمون فى كل زمان ومكان كل ما يلزمهم فى حاضرهم ومستقبلهم.

وإذا كان ليوم الجمعة هذه الخطورة عند أعداء الإسلام والمسلمين **فهل أدرك المسلمون هذه الأهميةلتلك الخطورة ووظفوا يوم الجمعة- منبراً وخطبة - لخدمة الإسلام والمسلمين فى العصر الحديث؟!!**

إن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى كثير من التريث قبل ابدائها!!

فهى ليست سهلة كما يتصور بعض المسلمين.

وإن النظرة الفاحصة إلى واقع خطبة الجمعة فى العالم الإسلامى خلال العصر الحاضر تعطى صورة متضاربة تحتاج إلى كثير من المقومات للنهوض بها والسير بها فى الطريق الأمثل. لكى نحافظ على أهميتها فى الإسلام ونزيد خطورتها ورهبتها عند أعداء الإسلام.

كثرة منابر الجمعة ومستمعيها:-

تنتشر المساجد والمنابر التى تؤدى من خلالها خطبة الجمعة فى شتى أنحاء الكرة الأرضية. ولو حاولنا وضع رقم تقديرى لعدد هذه المساجد والمنابر لبلغت مئات الألوف. ولو قدرنا عدداً وسطياً لرواد الجمعة فى كل مسجد. بألف مصل. لبلغ عدد مستمعى خطبة الجمعة فى شتى أنحاء العالم مئات الملايين.وهذا العدد لا يمكن أن يحتمع فى وقت واحد على أية وسيلة إعلامية أخرى مهما بلغت فاعليتها وتأثيراتها فى جماهريتها.ومهما بلغت أهمية الحدث الذى تنقله!!!

ولا تقتصر ميزة خطبة الجمعة كوسيلة إعلامية جماهرية على استقطابها لمئات الملايين من المتعلقين.

بل تتميز بمميزات وخصائص قلما تتوفر فى وسيلة إعلامية أخرى.وذلك لأن :-

(١) التلقى من أى وسيلة أخرى اختيارى لا يجبر عليه المتلقى فلا تستطيع أية سلطة فى الأرض أن تجبر الناس على مشاهدة برنامج تلفزيونى أو سماع برنامج إذاعى أو قراءة خبر صحفى أيا كانت أهمية هذه البرامج والأخبار.!!!

ولو قدرنا استطاعت هذه القوة على هذا الإجبار فكيف يتسنى لها أن تراقب مدى انصياغ الناس لأوامرها؟؟!!

بينما يذهب المسلمون إلى صلاة الجمعة وسماع خطبتها بأمر ربانى كريم لايجرؤ مسلم يؤمن بالله تعالى ويخشاه أن يتخلف عن هذا الأمر – يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون[١]

ومعروف أن صلاة الجمعة مقترنة بحضور خطبتها فهى إذاً عملية إعلامية يقبل عليها الناس أداءً لفريضة دينية.الأمر الذى يسبغ عليها صبغة القداسة . وهذا لا يتوفر فى أية وسيلة إعلامية أخرى.

(٢) خطبة الجمعة وسيلة إعلامية يلتقى عليها كل أفراد المجتمع : الرجل والمرأة والطفل وكل شرائح المجتمع المثقفين والعوام الأغنياء والفقراء والرؤساء والمرؤوسين.

ولا يمكن أن يجتمع مثل هذا الخليط الجماهيرى على أية وسيلة إعلامية غير خطبة الجمعة.

ومع هذه المميزات والخصائص التى تتوفر لخطبة الجمعة كوسيلة إعلامية . لا تنال هذه الوسيلة من المسلمين فى العصر الحاضر

---

(١) سورة الجمعة أية ٩ .

ما تستحقه من الاهتمام ولا تستخدم فـي خدمـة الإسـلام والمسـلمين الاستخدام الأمثل بل تكاد تأخذ شكل العادة الرتيبة

وأكاد أن أجزم أن تأثيرها في روادها من مئات الملايين يكاد يكون ضعيفاً . ولو كانت خطبة الجمعة تحظى باهتمام المسلمين في العصر الحاضر كما كانت من قبل لما كان حال المسلمين كما هو حالهم اليوم .لأن منابر الجمعة مع كثرتها وازديادها المطرد المستمر . لم تؤد رسالتها الأداء الكافي لمهمتها . [والخطباء الذين يتحدثون من خلالها. ليس أكثرهم – مع احترامنا وتقديرنا للجميع – على مستوى الخطابة بمعناها الصحيح. بل قدتجد فيهم – للأسف الشديد:

– من لا يدرك معنى الخطابة كفن من فنون الدعاية والإعلام.

– ومن يتصور أن الخطابة هي مخاطبة الناس من عل بصوت مرتفع.دون أن يعلم خطورة المنبر الذي يعتليه] (١)

– ومنهم من يرى أن خطبته وظيفه تكسب عيشا. لا رسالة بلاغ أو تبليغ.

وهكذا تبدو منابر الجمعة في العالم الإسلامي بأنماط متباينة مختلفة من الخطباء قد يصل تباينها إلى حد التناقض الشديد.

والسبب في هذا كله – من وجهة نظري الخاصة:–

[١] عدم أهلية كثير من الخطباء لهذا المنصب الخطير. لفقد الدافع النفسي أو الاستعداد الفطري.

---

(١) خطبة الجمعة في العالم الإسلامي د. محمد عماد محمد صـ٤

[٢] ومن عنده الأهلية لهذا المنصب وقليل ماهم - لا يجد متنفساً لها بسبب تقيده بحدود خاصة يدور فى فلكها . ولا يخرج عنها . وإلا ...!!

[٣]من عنده الأهلية . ولكن يخالف فعله أو حاله مقاله.فهو ليس قدوة يقتدى به غيره.ولذا فلا تأثير لخطبته مع أنه خطيب تتوافر فيه أهلية الخطابة . من حيث الموهبة والممارسة والقدرة على الإقناع والاستمالة.

[٤] يضاف إلى ذلك : عدم اهتمام كثير من الخطباء بتحضير الخطبة وإعدادها الإعداد التام الذى يجعلها خطبة تواجه جمهوراً متنوع الأفكار والثقافات.

وتواجه أحداثاً دائمة التغير والتجدد .ولاتقف عند حد.

فإذا لم يحضر الخطيب موضوع خطبته تحضيراً كاملاً وقف أمام جمهوره وكل الدلائل تشير إلى أنه شارد الذهن . مشتت الفكر يشرق ويغرب ويأتى بأفكار من هنا وهناك وربما يبدو فيها التضارب والتناقض مما يؤدى بالجمهور إلى الملل والانصراف عن الخطيب وخطبته.

وكل ذلك نتيجة لاعتماد الخطيب على الكلام المرتجل الذى يخطر على بال صاحبه دون سابق تحضير أو إعداد.

مقترحات لنجاح خطبة الجمعة وخطيبها:-

فى العصر الحاضر يعترض خطبة الجمعة وخطيبها كثير من المشكلات كما سبق القول.

ولكى تنجح خطبة الجمعة كوسيلة إعلامية مؤثرة وتستخدم لصالح الإسلام والمسلمين فإنى أقترح ما يلى:-

أولاً : إيجاد الخطيب الناجح .وهذا يتطلب:-

[أ] أن لا ينظر إلى خطيب الجمعة على أنه موظف يؤدى واجباً وظيفياً يدر عليه دخلاً مادياً وإنما ينبغى ان ينظر إليه على أنه داعية يؤدى رسالة إعلامية لإصلاح الدين والدنيا وهذا يقتضى من القائمين على أمر الدعوة.

[ب] فتح الباب أمام كل من لديه قدرات خطابية.ليعتلى منابر الجمعة دون حصرها على الأئمة الراتبين غير الأكفاء.

فينبغى أن يكون المجال مفتوحا لذوى الكفاءات من جميع فئات المجتمع المسلم:علماء الإسلام أو خريجى الجامعات الإسلامية أو أرباب التخصصات الأخرى كالأطباء والمهندسين.....إلخ.

[جـ] تنظيم دورات تأهيلية للخطباء تحت إشراف كليات الدعوة وأقسامها فى الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المؤسسات الإعلامية والجماهرية.

(٢) تحرير خطيب الجمعة من أية ضغوط أو قيود.فلا يمكن لخطيب الجمعة أن يؤدى دوره بفاعلية إذا كان تحت أية ضغوط نفسية أو قانونية تحد من حريته فى إلقاء خطبته.

فلا بد إذاً من وجود حصانة لخطيب الجمعة فى حدود الالتزام بشرع الله تعالى ومصلحة الإسلام والمسلمين.

(٣) تمكين خطباء الجمعة من الاطلاع على مجريات الأحداث المحلية والعالمية فى شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية

والتربوية والاجتماعية .... إلخ من خلال إصدار نشرات أو مجلات توزع على الخطباء.

(٤) تشكيل لجان لتقييم ومتابعة خطباء الجمعة وذلك بتعاون الجهات المسئولة عن منابر الجمعة وخطبائها مع كليات الدعوة وأقسامها بالجامعات الإسلامية من أجل تقويم . الخطبة والخطيب للوصول إلى أرقى درجة من الإعداد والتوجيه.

(٥) ينبغى على الخطيب أن يعى دوره ومكانته بين الناس, ورسالته فى التربية والتعليم فلا قيمة له إلا إذا أعد خطبته, واهتم بها قبل إلقائها وأدرك أهمية دروه ورسالته وأهمية خطبته ومدى تأثيرها

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/سعيد الصاوى

المراجـــــع

القرآن الكريم: كلام رب العالمين سبحانه وتعالى

١) إحياء علوم الدين: حجة الإسلام الغزالى، ط الحلبى بمصر بدون تاريخ

٢) أساس البلاغة للزمخشرى تحقيق /عبد الرحيم محمود ط دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ط دار الفكر العربى بدون تاريخ

٤) البيان والتبيين للجاحظ- تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل بيروت ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٥) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة - ديل كارينجى - ترجمة رمزى يسى ط دار الفكر العربى بدون تاريخ

٦) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى لأبى على محمد بن عبد الرحمن المباركفورى ط دار الفكر العربى بدون تاريخ

٧) تذكرة الدعاة: للبهى الخولى ط ٥ دار القلم بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

٨) تفسير القرطبى - الجامع لأحكام القرآن الكريم - للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى ط١ دار الغد العربى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م

٩) تفسير المنار: للإمام محمد عبده والسيد/ محمد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

١٠) الجامع الصحيح: للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٣٩٨هـ ١٩٨٨م

١١) الخطابة وإعداد الخطيب: د/ عبد الجليل شلبى ط٥ مؤسسة الخليج العربى بالقاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩١م

١٢) الخطابة فى الإسلام وإعداد الخطيب الداعية: د/ مصلح سيد بيومى ط القاهرة ١٩٨٠

١٣) الخطابة: أصولها . تاريخها فى أزهى عصورها عند العرب للإمام محمد أبى زهرة ط دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٠

١٤) الخطابة فى موكب الدعوة: د/ محمود محمد عمارة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة. رسالة الإمام العدد١٥ ربيع أول ١٤٠٧هـ نوفمبر ١٩٨٢

١٥) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق: د/ عبد الغفار محمد عزيز ط دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٠

١٦) الخطابة الدينية نظريا وعمليا: د/ محمد رجب الشتيوى ط القاهرة ١٩٩٠

١٧) الخطابة: لأرسطو ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى ط١ دار الرشيد ببغداد ١٩٨٠

١٨) الدعوة والخطابة: على عبد العظيم ط١ دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

١٩) الرحيق المختوم: للشيخ صفى الرحمن المباركفورى ط٢ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة١٤١١هـ ١٩٩١م

٢٠) زاد المعاد فى هدى خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية ط القاهرة بدون تاريخ

٢١) سنن ابن ماجة: الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ط دار الحديث بالقاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٢٢) السيرة النبوية: لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى تحقيق د/ محمد فهمى السرجانى ط الدار التوفيقية بالقاهرة بدون تاريخ

٢٣) صحيح مسلم: للإمام أبى الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ط المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة ١٩٢٤م

٢٤) فقه السيرة: د/ محمد سعيد رمضان البوطى ط٧ دار الفكر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

٢٥) فن الخطابة: للشيخ على محفوظ ط دار الاعتصام بالقاهرة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م

٢٦) فن الخطابة: د/ أحمد محمد الحوفى ط دار الفكر بدون تاريخ

٢٧) فن الخطابة: د/ عبد الرحيم زلط ط القاهرة ١٩٨٠

٢٨) محاضرات فى علم الخطابة النظرية والعملية: د/ محمد عبد الغنى شامة وآخرين ط١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م بدون ذكر مكان طبع أو نشر

٢٩) مختار الصحاح: للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ترتيب محمود خاطر ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م

٣٠) مع الله: دراسات فى الدعوة والدعاة: للشيخ محمد الغزالى السقا ط٥ دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٣١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ط دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

٣٢) نهج البلاغة: لأبى الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى شرح وتحقيق الإمام محمد عبده ط الشعب مصر بدون تاريخ



الفهـــرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة



رقم الإيداع
٩٧ ٩٢٦٢
977-5412-03-x
مكتب الأشول للطباعة بطنطا